

السيرة والسلوك إلى ملك الملوك

تصنيف

شيخ مشايخ الاسلام العارف بالله تعالى
الشيخ قاسم بن صلاح الدين الخاني الحلبي
رضي الله عنه

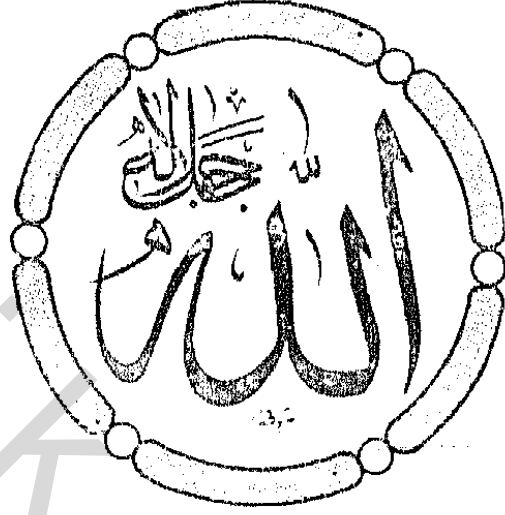
صححه وحقق أصوله وعلق حواشيه

السنيدي
محمد عبيد الشافعي

شيخ الطريقة الخلوتية المحمدية
وعضو الهيئة التأسيسية للجامعة الصوفية الاسلامية العالمية

obeykandi.com

obeykandi.com



فاستقم كما أمرت ومن تاب معك

--	--	--	--	--	--	--

obeykandi.com

الاسلام الشيخ قاسم الخاني الحاي قدس سره . وهو كتاب مخطوط
كان الفراغ من كتابته في عام الف ومائة واثنين من الهجرة - أى منذ
مائتين وواحد وسبعون عاماً ولم يطبع من قبل .

فوجدته بحمد الله تعالى كتاباً قيماً ووافياً حقيقة في معناه بالغرض
المطلوب وكان ما بنفسى ضرورة تحاكيه كل المحاكاه . فاعتبرت تأليف الكتاب
الذي كنت بصددده بعد سياقة هذا الفضل الالهى : شهوة .

لذلك : اتجه العزم منى إلى نشر هذه النسخة بعدمقالاتها وتصحيحها على
نسخة أخرى مخطوطة بدار الكتب المصرية محررة في ٢٢ شوال عام
١٢٥٢ هجرية أى لم تكن أسبق في التاريخ من النسخة التى بين أيدينا .
واتمماً للفائدة وزيادة فى الايضاح كان لابد من التعليق على ما أهم فيها
وما قد يكون فيه بعض الخلاف ليسهل الأمر ويتحقق النفع بفضله تعالى
لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً وتيسيراً للمطلع جهات التعليق فى نهاية
الصفحة مفصلاً عن متن الكتاب بغير تطويل ممل ولا إيجاز مخل والله
الموفق سبحانه والحق الذى لا مزية فيه أن هذا الكتاب وإن كان يهدف
إلى وصول النفس الانسانية إلى أعلا مراتب الكمال والدخول فى
حضرات القرب والمعرفة تحقيقاً لما يبتغيه الخاصة من الأمة إلا أنه
كتاب نافع لجميع أفراد الأمة المحمدية . الخاصة منهم والعامّة لأن
التصوف وأن شئت قلت بمرادفه علم القلوب وتهذيب الاخلاق أمر
ضرورى فى حياة الأمة الاسلامية ولا تكون الأمة خير أمة كما
وصفها الله إلا إذا أخذت به . ذلك لأن أمة بغير خلق . معناها أمة بغير حياة
انما الامم الاخلاق ما بقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وأنى ضارب لك فى ذلك مثلاً لتعرف به أو منه مقدار ضرورة التصوف فى حياة الأمة لو أننا جئنا المريض لنا بأطباء ثلاثة وبحشوا جميعا العلة . وعرفوا الداء تماماً . ثم وصف الأول دراء مسكناً لكى يهدأ المريض ويستريح بعض الشيء من حدة الألم . نعم قد يجد المريض باستعمال الدواء بعض الراحة . ولكن لا نستطيع أن نقول أنه والله الحمد قد برىء من علة . ولا أننا أصبحنا بحمد الله آمنين عليه من خطر الموت .

ثم إذا جاء الثانى الذى يليه ورأى أن الداء يسرى فى سائر الجسد أصبحنا نخشى أن يعم الداء ويصبح المريض فى خطر محقق حينما يتعذر علينا مداواته . فوصف له دراء من شأنه وقف سريان المرض وانتشاره فى سائر الجسد ثم استعمل المريض هذا الدواء . نعم قلنا من بعض الأشياء على حياة مريضنا ولكن ليس معنى ذلك أبداً أن المريض قد أبرىء من علة . ثم إذا جاء الأخير وعمل على استئصال الداء من أصله بعد وقف انتشاره لكان لذلك الفعل منه كل خير وسلامة للمريض ومن حوله من أهله وعشيرته وأعقده أن ذلك حق لامرية فيه أما المريض فهو الأمة . وأما الأطباء فهم القادة . فمنهم من يرى أنه لا بد من تشريع وضعى بالضرورة للحد من آلام الأمة وما تعانيه من فوضى اجتماعية وخلقية واقتصادية . وهذا ولا شك كما نعلم مسكن وقى . أن خفف الأم المريض ساعة فسيعاوده الألم لاشك مرات أخسرى . ومنهم من يرى أن الإسلام من حيث ظاهر أحكامه هو خير دواء لهذه الأمراض كلها وهذا ولا شك يوقف سريان الداء ويجعله محصوراً فى موضعه بحكم كفالة الإسلام للفرد والجماعة . ولكن الإسلام من حيث ظاهر أحكامه شيء والإيمان

به والتطبيق لأحكامه عن طريق مراقبة الحق والضمير في كل وقت وفعل
شيء آخر وأنا أقرر بيقين أن للقرآن حقا قدسيته عند الله وله قدسيته في
ذاته . وله قدسيته أيضا في قلوب المتقين . أما من اعتلت قلوبهم وهم الكثرة
في الأمة فهؤلاء ينقسمون إلى قسمين . قسم متعلم إلا أنه لا اعتلال قلبه
لبس على نفسه ليتخذ من الشبهات عاذرا لسقطاته . وقسم غير متعلم
غلبت عليه شهواته ونزعاته فلم يرع الله لا في السر ولا في العلان . وهؤلاء
وهؤلاء إذا لم يكن للقرآن قدسيته في قلوبهم فكيف يكون له اثر في
حياتهم وتصرفاتهم ؟ ولذا نرى أنه من الثابت في صحيح السنة أن
الرجل في الصدر الأول كان يتمتع في بعض اللمم ولم يره أحد مطابقا
من البشر . ولكنه يذهب في ظل عقيدته وإيمانه وخلقه إلى رسول الله ﷺ
ويقول له لقد فعلت كذا يا رسول الله فانظر إلى حكم الله فيما فعلت . أما اليوم
فيحتال الفرد ليفعل ما يشاء في ظل القانون حتى لا يقع تحت طائلته
وإن أصاب غيره الضرر من فعله وما ذلك في الحقيقة إلا للتدهور
الخالق وليس في استطاعة الحاكم أن يجعلوا على كل فرد من أفراد المحكومين
رقيبا لينفذ القانون بل إن فعلوا لاحتمال المحكوم على رقيب أو اتفاقا معا
إذا : فليست العلة علة القانون وإنما العلة وجود من يحترم القانون . قال تعالى
إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو التي السمع وهو شهيد ومن اعتل قلبه أو مات
فكيف ينتفع به . فلا سبيل إذا إلا أن نعمل على إصلاح القلوب باستئصال
داء الرذيلة منها فانها إن أصلحت صلحت الأفراد وصاغت تصرفاتهم في سائر

شئون الحياة منتفعين بنور الهدى القرآنى . وإن فسدت فسدت الأفراد وفسدت تصرفاتهم فى سائر شئون الحياة ولم يكن لصطوة القانون فى قلوبهم المعتمدة أثر . وإذا كان التصوف الإسلامى :

علم وعمل . وله كائى علم من العلوم حد وموضوع وثمره . فحده هو التخلّى عن كل خلق مذموم . والتخلّى بكل خلق محمود . وموضوعه أفعال القلب والحواس من حيث الزكية والتصفية . وثمرته إصلاح الفرد ظاهرا وباطنا فضلا عما له بعد ذلك من الناحية العملية والالهية . كان هو الطريق الوحيد فى إصلاح أفراد الأمة وأعدادهم أعدادا به يكونون خير أمة فى شتى الميادين الاجتماعية والثقافية والحربية والاقتصادية والدولية .

قال تعالى : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . ومن لم ينصر الله على نفسه فليس بناصر لغيره عليه ومن لم ينصف نفسه وخيره من ظلمه فليس الله بناصر له ومن ثم ندرك مقدار ضرورة التصوف فى حياة الأمة . وأنها بقدر احتياجها إلى حياتها وعمرتها بقدر احتياجها إليه !

حكم الله فى ترك هذا العلم والعمل به

لاشك أن المتأمل فى فيما مضى من البحث يتبين له أن الأمة لا تكون أمة بغير خلق . وأنها فى تركها لأخلاقها ضياع منها لعزتها ومجدها . بل هو عين الضياع فى الواقع لدينها الذى أرتضاة الحق لها وامتتن عليها به قائلا . لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة : الأمر الذى جاء من أجله ﷺ وبينه بقوله : إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق : وجعل الحق تبارك وتعالى فلاح المرء فلاحا مطلقا فى دنياه وآخرته مترقفا عليه كما جعل خيبة المرء وخسرانه فى حياته

وآخرته متوقفها على تركه حيث قال جل وعلا : قد أفلاح من ذكاهها وقد خاب
من دساها

فالعلم الذي تكون به نجاة المرء من آفة الرذيلة وتتحقق به سعادة الفرد والجماعة في
الدنيا والآخرة لا شك أن حكم الله فيه أنه واجب وتركه إثم إذ أنه لا تصلح
عبادة مؤمن ولا يسلم له قلب إلا به . ثم إذا كانت معرفة الله واجبة . وتتوقف
هذه المعرفة على معرفة النفس كما قال يحيى بن معاذ الرازي (من عرف نفسه
فقد عرف ربه) فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ففرض عين على كل
مؤمن أن يأخذ من هذا العلم أي علم إصلاح القلوب ما تصح به عبادته ويبرأ
به قلبه وتتم به سعادته وتحصل له بالله معرفته وإلا كان عند الله آثماً ولمنة الله
عليه مضيعاً : وقد قال بذلك كثير من أهل الفضل منهم ابن حجر في : كتابه
تحفة المحتاج . والخطيب الشربيني في شرح الغاية . والامام الغزالي . والبغرى
وعلاء الدين في الدر المختار وشيخ الاسلام زكريا الانصاري وغيرهم
فنسأله : تعالى أن يلمنا الرشد وأن يرزقنا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه وأن
يرزقنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه أنه سميع قريب مجيب .

محمد عبد الشافي

ترجمة المصنف رضى الله عنه

نقلا عن سلك الدور في أعيان القرن الثاني عشر . للبرادى

يقول المترجم : قاسم الخاني ابن صلاح الدين الخاني الحلبي : الشيخ الفاضل العارف بالله . ترجم نفسه فقال . ولدت سنة ثمان وعشرين وألف . ثم سافرت إلى بغداد في شهر جمادى الأولى سنة خمسين وألف فكانت غيبة طويلة مقدار سنتين ثم رجعت إلى حلب وأقمت بها شهرين ثم توجهت إلى البصرة . فأقمت بها مدة عشرة أشهر ثم توجهت إلى حلب وأقمت بها عشرة أيام . وتوجهت مع الحاج إلى مكة الشرفة وعدت منها إلى استامبول وأقمت بها سنة وسبعة أشهر ثم عدت إلى حلب . وكانت سياحتى هذه قريبا من عشر سنين وكانت كلها اشتغال بالتجارة . واسكني بعد هذه السياحة وعودتي إلى حلب . أحببت العزلة عن الناس وتركتم البيع والشراء . وسلكت طريق الذل والافتقار . وغربت الجلاس (١) والحلاس بالانفاس (٢) . وجاهدت نفس وعاديتها بالجوع والسير نحو من سبع سنين . سنتين منها إقتصرت على

(١) الحلاس جمع حلاس وهو الكساء . قال عليه السلام مررت ليلة أسرى بنى جبرين بالملأ الاعنى كالحلاس البالى من خشية الله . والحلاس هو الكساء الذى يلقى على ظهر البعير

(٢) الانفاس جمع نفس . وتغيرها هي أن تتبدل الانفاس فيه من أنفاس غفلة الى أنفاس يقظة فلا يخرج منه نفس بغير ذكر فيكون ذاكرة لله بعدد انفاسه فينشأ له من ذلك دوام المراقبة لله والحضور معه .

أن أتناول في كل ستين ساعة كغرامين طحين أجعله حريرة وأحليه بلعقة من العسل وأفرغه في حلقي (٣) وكف الطحين هذا مقدار وزنه خمسة عشر

(٣) كان ذلك أمراً شائعاً عند المصادر الأولى رضوان الله عليهم ولذا لا يبدو واعرباً كما يبدو اليوم يعلم ذلك مما رواه الحاكم بإسناد صحيح بأنه كان قوت أهل النصف مد من تمر بين اثنين في كل يوم - والمد رطل وثلاث مع ملاحظة أن ذلك بما فيه مقدار السوى . وكان أبوذر رضي الله عنه يقول طعمي في الجمعة صاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ والله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فأنى سمعته يقول أقربكم منى مجلساً يوم القيامة من مات على ما هو عليه اليوم . ثم اذا تفقدنا حال الكثير من الصداقة رضي الله عنهم رأينا أن الصديق رضوان الله عليه كان يطوى ستة أيام وكان عبد الله ابن الزبير يطوى سبعة . وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعة وقد اقتفى أثرهم خيرة هذه الأمة فكان الثوري وإبراهيم ابن ادحم يطويان ثلاثاً ثلاثاً والحقيقة كما يقول الامام الغزالي انهم كانوا يستعينون بذلك على طريق الآخرة واذا تأملنا في ذلك الفعل يتبين لنا أن اختلاف المقادير سواء ان كان في كميات الطعام او مدة الأيام راجع الى اختلافات احوال الافراد في القوة والضعف فلا يجوز لعبد ان يعمل على اضعاف نفسه حتى لا يستطيع القيام بما فرض عليه او بما هو مخافق من اجله كما لا يجوز له ان يخرج من حد الاعتدال الى حد الاسراف فان ذلك امر منهي عنه قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وحد الاعتدال هو ما اشار اليه رسولنا ﷺ بقوله — حسب بن آدم لقيات يقمن بها صلبه فان كان ولا بد فاعلا . فالثلاث لطعامه . والثلاث لشرابه . والثلاث لنفسه . والحكمة في ذلك هي ان دوام الشبع يقسو به القلب وتطغى به النفس وما افلح امرؤ في طريق الله قسى قلبه وطغى نفسه .

درهما . أما باقى أيام السبع سنين فكان أكلى أقل من القليل . وكل ذلك كان
بإشارة مشايخى رضوان الله عليهم أجمعين وصدق على قول سيدى عمر ابن

الفارض قدس سره .

وأنسى كانت قبل لوامة متى	أطعتها عصت أو تعصى كانت مطيعتى
فأوردتها ما الموت أيسر بعضه	وأتعبتها كيما تكون مر يحيى
فعادت ومهما حملته تحماته	منى وإن خففت عنها تأذت

فلما أنقضت سنوا لمجاهدة القريبة من سبع سنين . وهل شر شوال سنة
سته وستين وألف . ألقى الله تعالى فى قلبى حب طلب العلم الظاهر : فقرأت
على المشايخ سنتين إلا شهرا . وفتح الله على من العلم مافتح . فتركت القراءة .
وشرعت فى الإقراء فاقرات بعض الطلبة .

وكان أكثر الطلبة يضحكون قائلين نحن لنا عشر سنين نخدم العلم ولم نتجرا
على ذلك فيأتى بعضهم إلى مجالس درس وهو منكسر : فرأى الله ما يقوم من ذلك
المجالس الا وقد تبدل انكاره بالاعتقاد . وفى ثانى ذلك اليرم يأتى ويقرأ على
ويقول هذا الأمر من خوارق العادات . وبقيت على ذلك سنة (انتهى
ما كتبه المصنف بنفسه) ثم يقول المؤرخ . وكانت قراءته على جملة من العلماء
الأفاضل . وجلها على الشيخ أبى الوفا العوضى صاحب طريق الهدى . وكان
ساوكة على يد الشيخ أحمد الحمصى فاقام المترجم خليفة بعده فى المدرسة الاشرفية
الى أن توجه عليه تدريس الحاوية وصار يدرس بها ويقم الاذكار والاوراد .
ثم توجه عليه الافتاء بحلب وكان يفتى على مذهب الامامين اى حنيفة والشافعية .

وله من التأليف السير والسلوك الى ملك الملوك ، واختصر السراجية وشرحه
وله رسالة في المنطق وشرح على الجزائرية في التوحيد وله غير ذلك من
التأليف والفوائد وكانت وفاته سنة تسع ومائة وألف ودفن بين قبور
الصالحين خارج باب المقام بحلب رحمه الله رحمة واسعة - انتهى ما كتبه
المرادى في الجزء الرابع من كتابه المدر في أعيان القرن الثاني عشر .



(مقدمة الكتاب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أميط بجملة (١) أسرار ذاته العلية . من سماء العماء إلى أرض الطبيعة الكلية . واودعها بقدرته فى صدف النطف اظهار الخواص الاسماء فانحجبت بالظلمات الفسكانية . حجاباً أنساها ما كانت عليه من الكمالات فمالت الى الشهوات وركنت الى المحسوسات والفت العادات فلم تذكر أوطانها ولا خطر بيا لها مبادئها العلية . ثم أرسل اليها رسلاً على صورتها الظاهرة ورسلاً على صورتها الباطنة (٢) فارقدرافى ظلمتها مصابيحاً

(١) الاسرار جمع سر وهو ما استأثر به الحق سبحانه وتعالى فى غيب ذاته من حقائق الاسماء ومتعلقاتها فى مرتبة العماء أى المرتبة المتعالية عن التعالى والتدانى والمطلقة عن الاطلاق والتقييد فلا يحكم عليها بحقيقة ولا خلقية لأنها فى الحقيقة . عبارة عن تجلى الحق على العبد بجهل العبد بالله . وقد أشار اليها رسولنا صلى الله عليه وسلم . حينما سئل . كيف كان ربك يا محمد قبل ان يخلق الخلق . قال كان فى عماء مافوقه هواء وما تحته هواء . فالامر غيب مطلق عن قيدي الحس والعقل :

(٢) لما ان كان ظاهر الانسان الجسد : وباطن الانسان الروح : والجسد الظاهر من عالم الخلق والروح الباطن من عالم الامر : إقتضت الحكمة فى الصنع ان يكون للظاهر رسل : وللباطن رسل فالإلى الأول اشار قول الله تعالى : لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة : والى الثانى اشار قول الله تعالى . ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تنزل عليهم الملائكة الا تخافوا . ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياوكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . وولاية الملائكة فى الحياة الدنيا لمن استقام على الطريق الاوسط هى ظهورها فى صور الخواطر الملكية الداعية للعبد بفعل الخيرات : بمكس من لم يستقم فتتزل عليه الشياطين كما قال تعالى : هل أؤنبكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افكاثيم .

ملكوتية . فادركت ما هي عليه من الخبائث وما فيها من الاستعداد الى الوصول الى الكمالات والدرجات العلية . فجدت واجتهدت وطلبت من مبدئيها كشف ما سترها من الحجب النورانية والظلمانية . فتقرب منها لما تقربت بهذا الطالب وجذبها جذبة انستهم طابعها وما كانت عليه من العادات فوصلت بها الى حضرة الأحدية . فاستهلكت صفاتها في صفاته إذ لم يبق فيها ما ينازعه في ربوبيته لاتصافها بكمال العبودية فسادها ببعض أسمائها . يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية . وامرها بالدخول في عبادته تحقيقا للخلافة الآدمية . فخلعت عليها الخلعة القيومية والكمالات الأبدية . والصلاة والسلام على سيد الانام ومصباح الظلام وخير البرية . وعلى اله واهل بيته الفائزين ببركة صحبته بالأفضلية ومقام القطية . اما بعد فإن سلوك طريق الحق من اخلاق الانبياء والمرسلين . وخلاصة عباد الله الصالحين . الذين قال في حقهم رب العالمين ان عبادي ليس لك عليهم سلطان . وهو أمر ممكن ليسر على من يسره الله عليهم . وهم النطف الطاهرة واصحاب الاستعدادات الكاملة والطابع السليمة الذين لا رغبة لهم في لذات الدنيا ولا نعيم الآخرة قلوبهم متوجهة نحو ما يكرمهم لا يسكنون الا لذكروه ولا يتقوتون الا بتلاوه اسمه . يراعون الظلال بالنهار . ويخشون غروب الشمس كما يخش الطير الى الاوكار . فاذا جن الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لمحبوبهم اقدامهم وفرشوا له وجوههم وناجوا بكلامه وتلقوا له بانعامه : بين صارخ وبك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد . باعوا لذات الحراس الظاهرة بما

ظهر لهم بالبصائر الباطنة وهو أعنى السلوك لطريق الحق متعسر على من هبط الى سجين وأسفل سافلين وانخرط في الطبيعة في سلك الحيوانات وانحبس في قفص العادات وأصطيد بشبكة الخائفات ولم يصبه شيء من النور الذي القاه الله على عباده حين خلق الخلق في ظلمة كما جاء في الحديث (١) . يعنى ظلمة الطبيعة فبقوا في ضلالهم فلم يهتدوا اذا ابدا

ثم لهذا الطريق منازل معاومة عند أهله (٢) يقطبها السالك واحدة بعد واحدة الى أن يصل الى آخرها فيتهي السلوك ولا تنقطع التجليات لانها لا آخر لها

(١) يقول صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق خلقه في ظلمة فالتقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطاه ضل . رواه الإمام أحمد والحاكم وأترمذي عن عبد الله بن عمرو . ورجال أحمد رجال الصحيح

(٢) لقد بين هذه المنازل الإمام المحدث الصوفي محمد بن اسماعيل الهروي في كتابه منازل السائرین وجمعها رضوان الله عليه في مائه . كل عشرة منها تتميز عن الأخرى . فالأول . بدايات . وهي اليقظة والتوبة والمحاسبة والانابة والفكر والذكر والاعتصام والفرار والرياضة والسماع والثانية ابواب - وهي الحزن والخوف والاشفاق والتشوع والاختبات والزهده والورع والتبتل والرجاء والرغبة - والثالثة معاملات - وهي الرعاية والمراقبة والحزمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم - والرابعة اخلاق - وهي الصبر والرضا والشكر والحياء والصدق والايثار والخلق والتواضع والفتوة والانبساط - والخامسة اصول - وهي القصد والعزم والارادة والادب واليقين والانس والذكر والفقر والغنى ومقام المراد - والسادسة اوردية - وهي الاحسان والعلم

وهذا معنى قول الشيخ الأكبر ان الترقى لا ينقطع ولا بعد الموت : فحال هذا السالك في قطع هذه المنازل كحال المسافر في قطع مراحل الطريق المحسوسة فكما يحتاج المسافر في سفره الى الدليل العارف بالطريق وال زاد والراحلة والرفقة والسلاح للملاقات العدو وإرهابه فكذلك السالك لا بد له من مرشد عارف بهذا الطريق قد سلكه وعرفه وعرف خيره وشره . ولا بد له من زاد وهو التقوى ولا بد له من راحلة وهي الهمة . ولا بد له من رفقة وهم اخوانه الطالبون لمطلبه ، ولا بد له من سلاح وهو الأسماء : لئلا يذهب به عدويه وهما الشيطان والنفس : وكما ان المسافر يمر على بلاد ومدائن ويقيم فيها ثم يرحل عنها متوجها الى مطلوبه كذلك السالك يمر في سيره على المقامات المشهورة عند اهل الله تعالى وهي سبع مقامات : المقام الاول منها مقام ظلمات الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة : الثاني مقام الانوار وتسمى النفس فيه بالانوار : الثالث مقام الاسرار وتسمى النفس

والحكمة والبصيرة والفراصة والتعظيم والالهام والسكينة والطهانية والهمة . والسابعة اصول وهي المحبة والغيرة والشوق والقلق والعطش والوجد والدهش والهيان والبرق والنوq - الثامنة ولايات - وهي اللجج والوقت والصفاء والسرور والسر والنفس والغربة والغرق والغيبة والتمكين . والتاسعة حقائق - وهي المكاشفة والمشاهدة والمعاينة والحياء والقبض والبسط والسكر والصحو والاتصال والانفصال - والعاشرة وهي تمام الماية نهايات - وهي المعرفة والغناء والبقاء والتحقيق والتلبيس والوجود والتجريد والتفريد والجمع والتوحيد . فأذا ما قبل العبد على الله تعالى بكنه الهمة قاصدا التعرف اليه تعالى والقرب منه متمسكا في اقباله بمراسم

فيه بالملهمة: الرابع مقام الكمال وتسمى النفس فيه بالمطمئنة : الخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية السادس مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية : السابع مقام تجليات الاسماء والصفات وتسمى النفس فيه بالكاملة : وكلما كان الانسان في مقام من هذه المقامات كان محجوباً به عن بعده : فمن كان في المقام الاول فهو محجوب بالآغيار عن مشاهدة الأنوار : ومن كان في الثانى فهو محجوب بالانوار عن الاسرار : ومن كان فى الثالث فهو محجوب بالاسرار عن الكمال : ومن كان فى الرابع فهو محجوب بالكمال عن الوصال . ومن كان فى الخامس فهو محجوب بالوصلال عن تجليات الافعال . ومن كان فى السادس فهو محجوب بتجليات الافعال عن تجليات الاسماء والصفات . ومن كان فى السابع فهو محجوب

التشريع مع الأخذ بالعزيمة نزل القلب فى كل منزلة من هذه المنازل فى حالة سيره وسلوكه . وكلما تحقق بمنزلة من هذه المنازل ارتقى الى منزلة اخرى هو هكذا حتى يصل فى نهاية امره الى التوحيد الخالص فيكون شاهد الحاله فيه شهد الله انه لا اله هو والملائكة وأولى العلم قائماً بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم . فيشهد الامر وفق ما يشهده ربه وملائكته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وتندرج كل هذه المنازل تحت حيطه المقامات المشهورة عند اهل الله تعالى وهى كما بينها المصنف رضى الله عنه سبعة مقامات المقام الاول مقام الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة والمقام الثانى مقام الانوار وتسمى النفس فيه بالوامة والمقام الثالث مقام الاسرار وتسمى النفس فيه بالملهمة والمقام الرابع مقام الكمال وتسمى النفس فيه بالمطمئنة . والمقام الخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية والمقام السادس مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية والمقام السابع مقام تجليات الاسماء والصفات وتسمى النفس فيه بالكاملة .

بتجليات الأسماء والصفات عن تجلى الذات . وتجلي الذات ممتنع لانه يعطى ظلمة كالنظر الى الشمس فان الناظر اليها لا يصر شيئا . ولذا قالوا أن الحق لا يتجلي من حيث ذاته على الموجودات الا من وراء حجاب من حجب الاسماء وحينئذ فاعلى القامات هو تجلى الاسماء والصفات واما تجلى الذات فهو شيء غير ممكن (١) مع أن القوم رضوان الله عليهم يذكرونه - ويعرفونه وسيرد عليك تعريف تجليات الافعال وتجليات الصفات : وتجلي الذات مفصلا في المقدمة ان شاء الله : ثم أعلم ان بين العبد وربّه سبعين حجابا من ظلمة ونور كما جاء في الحديث الشريف : وهي ترجع الى العبد لان الله لا يحجبه شيء (٢) لأنه لو كان له حاجب لمكان له قاهر : وهو القاهر فرق عباده : فالمحجوب في الحقيقة هو العبد : والمراد من الحجب عند اهل التحقيق هو بعد المناسبة فافهم فانه دقيق (٣) ولا تعتقد أن الحجب أمور

(١) الحقيقة ان هناك تجلى للذات . وهو لا يكون قط لعبد فيه بقية . وهو لا يكون الا كما يقول القائل - اذا رأيت حبيبى باى عين اراه - بعينه لا ببنى فلا يراه سواه - فيكون الانسان في مشهد من شأنه ظهور معنى الذات بغير تعين ولا حكم حال فنائه في مشهده . فإن رد العبد الى بشريته بقيت معه رقيقة عامة منطبعة في نفسه بحكم مشهده . ومحاولة الافصاح من المعارف عن ذلك المشهد بعد رده الى بشريته يزيد الايضاح ابهام . ومن العجب أن تقع النكرة في عين المعرفة ولكن الله الذى له الحكم لا يدخل في تجليه تحت حكم .

(٢) لله سبحانه وتعالى الاحاطة بكل شيء ومن أحاط بكل شيء كان أقرب الى كل شيء من كل شيء ومن ثم كان المحجوب أنت في الحقيقة لا هو (٣) نفس المرء من حيث هى صالحة صلاحا متساويا لقبول الخير والشر لذا كانت بمثابة المرآة الخردة المستعدة لتبسم كل ما يقايلها من الصور . فان

حسية : ولا ان البعد بعد مسافة كما يفهمه البعض فانه تعالى منزّه عن البعد والقرب الحسين ومنزه عن الجهة والمسكان والزمان وغير ذلك من سمات الحدوث :

وسلوك طريق الحق انما جعل لتمزيق هذه الحجب السبعين : وهي ترجع جميعها الى السبع مقامات المذكورة : والنفس في كل مقام محجوبة بعشرة حجب : الأول منها اكشف من الثاني . والثاني اكشف من الثالث : والثالث اكشف من الرابع : وهكذا الى العشرة فالتاسع اكشف من العاشر . وكذلك حجب كل نفس اكشف من حجب النفس التي بعدها وهكذا الى النفس السابعة . ولذا كلما وصل السالك الى مقام من هذه المقامات السبع ظن أنه وصل الى الله :

اتجهت نحو الكوز وتعلقت به ولم تزع حق الله فيسه فاستعملته في غير ما خلق من أجله . وصارت ترتكب من الذنوب والآثام ما تهوى كل لذلك الفعل أثر عائد عليها . وذلك الأثر هو أن تظلم النفس ويتراكم العبد والران على وجهها فتكون في ظلمات بعضها فوق بعض فلا ترى سبيل الرشد ولا تنكشف لها حقائن الأمور ولا تشم رائحة القرب قال تعالى . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . ومن ثم يكون المرء بعيداً بحكم هذه المقامات عن ربه — أما ان سلك النفس طريق التزكية وأعرضت عن السوى . وأخذت بقوله ﷺ تخلقوا باخلاق الله واتصفوا بصفاته فوقفت بذلك عند حدود الله ومحاربه كان لها من ذلك الكمال ما يؤهلها للدخول في حضرات القرب وكان هذا الكمال في الحقيقة هو المناسبة . فبقدر تخلق العبد واتصافه بصفات ربه يكون قرب منه وبقدر انغماسه في شهوات نفسه ووقوفه مع أحكام حسه يكون بعده عنه فالقرب إذاً انما هو قرب بالصفة لا بالمسكان

وإذا عرفت هذا عرفت أن أبعد ما يكون العبد من ربه إذا كان في المقام الأول لأن النفس فيه أمارة بالسوء . وسنذكر أوصافها في بابها . وواصف غيرها من النفوس الباقية حتى يعلم السالك في أى مقام هو لأن كل نفس من النفوس لها صفات وسير وعالم ومحل وحال وأوراد: والنفس الامارة بالسوء دون سواها من النفوس محجوبة بحجب ظلمانية . وأما ما سواها من النفوس فكلاهما محجوبة بحجب نورانية وبعضها ارق من بعض كما ذكرنا .

فالسالك إذا كان في المقام الأول وتلقن الاسم الأول من المسلك وداوم على تلاوته مع الاكثار اناء الليل واطراف النهار . جهر او سرا وقياماً وعوداً أوقد الله تعالى في باطنه ببركة هذا الاسم مصباحاً مكنوياً فيرى بعين قلبه القبايح التي هو منطو عليها كارهها لها . ومستكراً من نفسه الاتصاف بها . متحسراً على مافاتة من الاوقات بعد ما كان في غفلة لا يعرف القبيح من الحسن الا باللسان فيشمر عن ساعد الجد ليسعى على الخلاص مما فيه من القبايح الظاهرة كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك وعلى اخراج ما فيه من القبايح الباطنة كالكبر والحقد والحسد وامثال ذلك وكلها زاد من الذكر وداوم عاينه زادات كراهيته لافعاله القبيحة وزاد سعيه في الخلاص منها: وهذا أمر محقق لا ينكره الا من لم يجربه : وهذه أول كرامة يكرم بها الله تعالى هذا العبد السالك ليستعين على قطع الطريق : وله في كل مقام كرامة بل كرامات كثيرة . ويعتبر هذا المصباح المذكور أول الجذبة الرحمانية : وكلما دوام السالك على الذكر مع المجاهدة قوى الجذب حتى يصل الى اعلى درجات الكمال فيقوى على حمل الامانة وعلى التجليات .

ولما شاع بين من أقعدهم الكسل والاهمال عن سلوك الطريق الموصل الى الدرجات العلى ومن لم يتجاوزوا ادراك الحواس الظاهرة. ان طريق المحققين قد انهدمت أركانها . واندرست اثارها ومات اهلها ولم يبق منها الا اسمها . كُنبت هذه الرسالة وبينت فيها كيفية السلوك واحوال السالكين . والمسالك وما يحتاج اليه السالك في قطع الطريق والوصول الى التحقيق . لتقطع اعذار المقصرين وتزداد همم الراغبين في السير الى رب العالمين . ولا شك : أن كل من سار على الطريق وصل الى منتهاه : وطريق الحق واضح بين . لكنه مع الاهواء الشيطانية والشهوات لا يكون واضحا . قال العارف بالله تعالى

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الاهواء أعمت فاعمتى

وقد سميتها - السير والسلوك الى ملك الملوك ورتبتها على مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة . فالمقدمة : في تعريف ما يحتاج الى ذكره هنا من اصطلاحات اهل التحقيق . - حتى كلما مررت بكلمة غريبة المعنى ترجع الى المقدمة فتراها مفسرة واضحة بكلام تفهمه . لان من لم يعرف اصطلاحات القوم رضى الله عنهم لا يفهم كلامهم . وأما الباب الأول فهو في ذم الدنيا ولذاتها وبيان حقيقتها . والباب الثانى ففى الحث على سلوك هذه الطريقة وبيان فضلها وذكر الصفات الذميمة المانعة من الوصول الى الكمال وذكر الاوصاف الحميدة الموصلة الى الكمال . والباب الثالث ففى بيان الحجب التى بين العبد وربه . وما يحتاج اليه فى تمزيقها ورفعها عن اللطيفة الانسانية من التوبة . والابانة . والتجرد عن الاسباب وغير ذلك مما لا بد منه . والباب الرابع فى بيان النفس الأمارة بالسوء وسيرها وعالمها ومحالها وما لها وأورادها وصفاتها وقبائحها وكيفية الخلاص منها والترقى عنها الى المقام الثانى الذى

تكرن فيه النفس لوامة والباب الخامس في بيان النفس اللوامة ومحاسنها وقبائحها وصفاتها والباب السادس في بيان النفس الملهمة وما تشتمل عليه من الجمع بين الخير والشر والصفات الحسنة لأنها محل الخطر . والباب السابع في بيان النفس المطمئنة وما فيها من كمال بالنسبة إلى عبادتها من النفوس والباب الثامن في بيان النفس المرضية وعجائبها والباب العاشر في بيان النفس الكاملة وقربها وعبوديتها . والخاتمة في بيان المرشد وأوصافه وأحواله وبها يعرف من يصلح للإرشاد ومن لم يصلح وفي بيان صفات المريدين المتقابلين للمساوئ والمريدين الغير قابلين وفي بيان مداخل الشيطان وأنواع ظهوره وكيف يظهر لأهل كل مقام بما يناسبهم ليستعين بهذه الدسائس على أضلالهم أعاذنا الله ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين . رب يسر وان أنت الكريم

المقدمة

فى تعريف ما يحتاج إلى ذكره فى هذه الرسالة من اصطلاحات أهل التحقيق مرتباً على حروف المعجم.

. الأخلاص - هو أن لا يطالب الرجل رؤية الناس أعماله فهو ضد الرياء .
. البقاء - وجود الأوصاف المحمودة فى السالك بسبب الرياضة وهو نتيجة الفناء .
فمضى تم الفناء حصل البقاء كما ستعرفه فى حق اليقين . التقوى . هى تجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وهذه تقوى العوام . أما تقوى الخواص فهى تنزه القلب عما يشغله عن الله . التجرد . هو إزالة السرى والكون عن القلب .
التجلى . هو ما يكشف لقلب السالك من أنوار الغيوب . فإن كان مبدؤه الذات من غير إعتبار صفة من الصفات يسمى تجلى الذات . وأكثرا لاولياء ينكرونه ويقولون أنه لا يحصل إلا بواسطة صفة من الصفات . فيكون هذا من تجلى الأسماء الذى هو قريب من تجلى الصفات وإن كان مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعيينها وإمтиازها عن الذات يسمى تجلى الصفات وإن كان مبدؤه فعل من أفعاله تعالى يسمى تجلى الأفعال . فتجلى الأسماء هو ما ينكشف لقلب السالك من أسمائه تعالى . فإذا تجلى فى اسم من أسمائه تعالى أصطلم السالك تحت أنوار ذلك الاسم بحيث إذا نودى الحق تبارك وتعالى بذلك الاسم أجاب السالك المصطلم به . وتجلى الصفات هو ما ينكشف لقلب السالك من صفاته تعالى فإذا تجلى على السالك بصفة من صفاته وكان ذلك بعد فناء صفات السالك ظهر على السالك بعض آثار تلك الصفة بفضل الله تعالى كأن يتجلى عليه الحق مثلاً بصفة السميع فيسمع بهانطق الجمادات وغيرها وهكذا بقية الصفات .

وأما تجلى الأفعال فهو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى فإذا ما تجلى الحق تعالى على السالك بأفعاله إنكشف له جريان قدرة الله تعالى في الأشياء فيرى أنه تعالى هو المحرك وهو المسكن مشهوداً حالياً لا يعرفه إلا أهله وهذا التجلى . منزلة أقدام الكثيرين . فيخشى على السالك منه لأنه ينفي الفعل عن العبد بالكلية (٢) ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . وأعلم أن تجلى الأفعال سابق على تجلى الصفات والأسماء . (٣) فإن ثبت السالك ولم يزل قدمه وأقام الحدود الشرعية على نفسه مع شهوده

(٢) لا شك أن الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقي في كل شيء . ونسبة الفعل إلى العباد نسبة مجازية لانسبة حقيقية والا كان هناك الهين وفسد الأمر . إلا أن الناس في شهود الفعل أنقسموا إلى ثلاثة أقسام . قسم شهد الفعل من الخلق وغاب عنه أن الله هو الفاعل فيهم فكانوا حجاباً له عن شهود وحدانية الفعل في الوجود وقسم غلب عليه شهود وحدانية الفعل فلم ير ضاراً ولا نافعاً ولا معطياً ولا مانعاً إلا الله . وأنكر الأسباب مطلقاً . ولم يصف إلى الخلق ما أضاف الحق إليهم . وهو الذي أشار إليه المؤلف وقسم شهد الحق في الخلق أي شهد الفعل في الخلق لله . فكانوا في مشهده محل لجريان الفعل وهم لا يملكونه كيجري المياه يمر منها الماء وهي لا تملكه وهذا الفريق أضاف إلى الحق ما أضاف الحق لنفسه وأضاف إلى الخلق ما أضاف الحق إليهم فكان مع مراد الله في الأمرين لم تشغله الخلق حتى يحجب بهم عن الله فيفضل . ولا غاب بشهود الفعل لله . فأنكر ما أثبت الله لضيق حاله وإنما أعطى كل مرتبة حكمها فكان كاملاً

(٣) يقول ذلك استناداً إلى قول رسول الله ﷺ أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك سبحانه لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فالأولى مرتبة الأفعال والثانية مرتبة الأسماء والصفات والثالثة مرتبة الذات

أن المحرك والمسكن هو الله تعالى ترقى من هذا التجلى الخطر إلى تجلى الأسما والصفات وإن لم يثبت تزدق ورجع من الطريق وهبط إلى أسفل سافلين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم - التصوف . هو الوقوف مع آداب الشريعة ظاهراً وباطناً فيرى حكمها من الظاهر فى الباطن ومن الباطن فى الظاهر فيحصل من الحكمين كمالاً لم يكن بعده كمال . الجاه هو انتشار الصيطن . الجمع هو شهود الأشياء بالله تعالى . جمع الجمع الاستهلاك بالكيفية والفناء عما سوى الله تعالى وهو المرتبة الأحادية . الجرس . اجمال الخطاب الالهى والوارد على القلب بضرب من القهر . (١) الحال معنى يرد على القلب بلا تصنع ولا اجتلاب ولا اكساب . وهو أما طرب وأما حزن وأما فبض وأما بسط وأما هيه . وإما خير ذلك بما يرد على قلب السالك فان زال عن القلب فهو الحال . وان دام وصار ملكة سمي مقاماً فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتى من عين الجرد والمقامات تحصل ببذل الجهود . الحجاب هو انطباع الصور السكرانية فى القلب المانعة من قبول تجلى الحق . ففى كان فى قلب السالك غير الله تعالى فهو محجوب عن تجليه . وقد تكثر الاغيار فتصير حجاباً ظلامياً وقد تقل فتكون حجاباً نورانياً . لذلك اختار المحققون للسالك ترك الاسباب وملازمة الخلوة (٢) حتى لا تنطبع الصور

(١) روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان الحارث ابن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله كيف يأتيك الوحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . احياناً يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشدّه على فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال واحياناً يتمثل لى الملك رجلاً فيكلمنى فأعنى عنه فأختيرت هذه التسمية اصطلاحاً لما بين الامرين من مشابهة .

(٢) قد يكون المرء فى الخلوة وقلبه معلق بالاكوان . وقد يكون المرء

السكونية في قلبه فتمنعه عن تجلي الحق له . والدليل على ان المانع هو الصور السكونية انك ترى العابد الذي لم يسلك طريق المحققين يعبد الله عز وجل سبعين سنة ولم يحصل في قلبه شيء مما يحصل للسالكين لان العابد الذي هو ليس

في السكون وقلبه متعلق بالله وهذا امر راجع الى استعداد المريد السالك ومقدار تمكن الاغيار من قلبه . والمرشد المحقق طبيب قائم بمعالجة قلب مريده هدفه تخليص القلب من مرض التعلق بالسوى ليكون القلب صالحا لله فان تيسر بحكم استعداد المريد بقاءه في الخلق مع كامل التعلق منه بربه فيكون معهم بجسده ومع الله بروحه وقلبه ولم تكن الخلق حجابا له عن شهود الخالق ابتغاء في مرتبة الاسباب فان ذلك اكمل كما قال صلى الله عليه وسلم حينما مر على رجل يتعبد في شعب من الشعاب وسأل من يقتاتته فقالوا اخيه قال هو خير منه . وان تعذر سلامة قلب المريد من مرض التعلق لقوة تمكن الداء منه كانت الخلوة والعزلة من انفع الامور لمرضه . فعلى المرشد في هذه الحالة أن يعزله عن الخلق مع مراعاة حق الله فيها استرعاه فيه من قبل اى فيها استرعى المريد فيه واذا كنا نجز لطبيب الجسد ان يعزل المريض احيانا لما يترتب على اختلاطه من ضرر له أو لعشيرته مع اليقين منا بفناء هذا الجسد وخسة هذه الحياه فكيف لا نجز لطبيب الروح ان يعزل مريضه حرصا منه على سلامة قلب باق لا يتطرق اليه الفناء وحياة طيبة تتحقق فيها سعادة الآخرة بلقاء الله . قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . وقد كان صلى الله عليه وسلم في بداية أمره يتحنث في غار حراء معتزلا الخلق جميعا منفردا بربه مقبلا عليه فلما ان تم له الأمر وكلمه الله بما هو لائق به قال له جل وعلا . وانذر عشيرتاك الاقربين اى أمره بالعودة الى الخلق ليقوم بحق الله فيهم فالحققون حكماء لا يصفون دواء ولا يأمرؤن بعزله الا بحسب داء المريض وحاله وقد اجاز الدين الامرين

بسالك قلبه مملوء بالآغيار ولم يسعى في ذهابها عن قلبه ولا يريد ما أرادته
السالكون بل يطالب ما وعده الله به في الجنة فإن قبل الله منه عبادته أعطاه
ما وعده به في الجنة وهو لا يخاف الميعاد . والمابد السالك يعطيه الله تعالى
التجلى في الدنيا وله في الآخرة اعلا المقامات . الحقد . هو إخفاء العداوة
في القلب لمحل القدرة على الانتقام . الحسد هو كراهة ان تكون النعمة على
الغير فيحب زوالها وهو المذموم من نوعي الحسد وأما الحسد الذي هو غبطة
فهو ان لا يكره النعمة على الغير ولا يريد زوالها ولكن يريد لنفسه
مثلا وهذا الحسد محمود : حق اليقين : هو فناء صفات العبد في صفات
الحق وبقائه به علما وشهودا وحالا لا على قط نالذي يفنى من العبد
على التحقيق صفاته لا ذاتها : في ذات الحق كما يفهمه الجاهلون
الذين كذبوا على الله بل ان العبد كلما تقرب الى الله تعالى بالعبودية وتخلّى عن
جميع الصفات المناقضة لها ووجه الله تعالى فضلا من صفاته اى صفات حميدة
حقيقية عوضا عما فى منه من الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى ذو القادر
على كل شيء فاذا ما شاء ذلك اذهب عن العبد ما فيه من الخباثات وامده بما يبيح
عنه كل ما سوى الله فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع : هذا وتماثلوا لذلك
مثالا . وهو ان القطعة من الفحم اذا وقع عليها ضوء النار لا بسبب المقابلة
بل بسبب وقوع ضوء النار على الحائط . . .

وانعكاسه عليها كان ذلك مثلا لعلم اليقين فاذا وقع ضوء النار عليها
بسبب المقابلة ولم يكن بينها وبين النار حجابا كان ذلك مثلا لعين اليقين واما
اذا كانت قطعة الفحم بجانب النار بحيث تشتعل من حرارتها وتذنى اوصافها
في اوصاف النار بحيث تبدل ظاهرها بانراق النار وروادتها بحرارة النار

هو فعالها بفعل النار كان ذلك مثلاً لحق اليقين وهذا التحقيق مأخوذ من كلام الشيخ محي الدين رضى الله عنه ومن كلام غيره حيث قال لا تعتقد ان ذات العبد تغنى في ذات الحق فلا يبقى الا الحق فان هذا ضلال وجعل لا يرضى به المحققون وان وقع من اصحاب الشطح ما يشعر بذلك فالشطح مردود على أهله : الخمول : ضد الحياة وهو انخاد ذكر السالك بالكلية : الرياء هو طاميه العبد بقلبه رؤية الناس اعماله . وهو نوعان . ظاهر وخفى الظاهر منه ان يحمله هذا الطاميه على العبادة أو على تحسينها والخنفي هو الذى لا يحمل على العبادة ولا على تحسينها ولكن يجب ان يطلع الناس على عبادته : السر : هو اللطيفة المدركة وهو باطن الروح فان تنزل درجة كان روحا . واذا تنزل درجة اخرى سمي قلبا وجمعه اسرار : الشريعة : هي فعل المأمورات وترك المنهيات : الشطح : عبارة عن كل كلمة تبذرها عليها رائحة الرعية والدعوى وهو من ذلات السالكين : الشوق تأجج القلوب الى لقاء المحبوب : الشهود : رؤية الحق بالحق : الطب الروحاني : هو العلم بكلمات القلوب وآفاتها وامراضها ودراؤها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها : الطبيعة : هي القوة السارية في الاجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي وهي سر من اسرار الله تعالى تصدر عنها الافعال من غير شعور : الطريقة : هي تتبع اعمال النبي صلى الله عليه وسلم والعمل بها :

: الطمس : ذهاب رسوم السالك بالكلية في صفات الله تعالى وهو اعلا انواع الفناء : الطهارة : هي حفظ الله تعالى لعبده من المخالفات : طاهر الظاهر : هو من حفظ الله تعالى من المعاصي : طاهر الباطن : هو من حفظه الله تعالى من الوسواس : طاهر السر : هو : من لا يذهل عن الله طريقة عينه .

طاهر السر والعلائية : هو من قام بتوفية حقوق الحق والخلق معالسمته
لرعاية الجانبين : الطوالع هي أول ما يبدوا من تجليات الاسماء على باطن
السالك فتحسن اخلاقه بها لانها تنور باطنه : الظل : هو الوجود الاضافي
المنبسط على الممكنات واحكامها التي هي معدومات في نفسها وهو النفس
الرحماني وتسميه الحكماء بالطبيعة . وتسمية الوجود بالظل لقوله تعالى . الم
تعالى ربك كيف مد الظل . اى بسط الوجود على الممكنات . وتسميته
بالنفس الرحماني تشبيها له بنفس الانسان المختلف بصور المروف مع كونه
هواء ساذجا في نفسه وتشبيها لأعيان الموجودات بالكلمات الإنسانية وكما
تدل كلمات الانسان على المعاني كذلك تدل أعيان الموجودات على موجودها
وعلى أسمائه وصفاته قال تعالى . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر
قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً . فالمراد من الكلمات أعيان
الموجودات (١) وكما أن لكل كلمة من كلمات الانسان معنى غير المعنى الذى
للكلمة الأخرى فكذلك لكل عين من أعيان الموجودات سر غير السر الذى
فى العين الأخرى يطلع الله تعالى عليه خواص عباده ويحجبه عن غير الخواص
ومثل ذلك كالكلمات المكتوبة فى رق مثلاً . إذا نظر فيها القارىء قرأها
وفهم منها معناها . وإذا رآها غير القارىء لم يفهم منها شيئاً ولا يراها إلا
خطوطاً متداخلة بعضها فى بعض فسبحان المعطى المانع جل وعلا . العبودية

(١) أعيان الموجودات ذواتهم فكل موجود كلمة . قال تعالى انما أمره
إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون . وقال تعالى فى عيسى عليه السلام انما
المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقال
تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون

هي الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود
العجب : هو تكبر يحصل في الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل : العناء : هو
المرتبة المطالفة عن الاطلاق والتقييد المتعالية عن التعالي والتدان وهو البطون
الذاتي العناني الذي لا يتصف بالحقية ولا بالخلقية وفيه تضحل الأسماء
والصفات كالأحادية : والاحدية قد يفهم معناها والغناء لا يفهم معناه وليس
فيه تجلي الاله تعالى وليس للمخلوق فيه نصيب . وهذا التجلي هو تجلي الذات
الذي سرآته ممتنع فافهم . وفيه قال الصديق رضى الله عنه . العجز عن درك
الأدراك ادراك . فالسالك يكشف له في كل مقام من المقامات عن نور من
أنوار الذات وذلك بحسب استعداده فيعرف بذلك النور ربه وخالقه فان
سلك جميع المقامات وظن أنه قد تمت معرفته بربه وصل إلى مقام يتحقق فيه
أن الذات شيء خاصيته أنه لا يعرف . فيقول عند ذلك . العجز عن درك
الادراك ادراك . يعنى أنه قد أدرك أن الذات لا تعرف وهذا أرق المقامات
فافهم . ولا تظن أن صاحب هذا المقام لن يدرك شيئاً لأن من لم يصل إلى
هذا المقام فهو ناص المعركة ومن وصل اليه فهو كامل المعرفة . وقد وصل
إلى هذا المقام القطب المعروف بالواسطى وقد سئل رضى الله عنه عن ذلك
أى عن حقيقة الحق فقال . حقيقة لا يعلمها إلا الحق . وفي هذا المقام
يقول السالك رب زدنى فيك تحيراً . يعنى الخيرة المقبولة التي تتكثر وتتوسع
فيها التجليات الاسماءية والصفاتية لا الخيرة المذمومة الحاصلة في أول السالك
فافهم فانه دقيق : علم اليقين : هو العلم الحاصل من الدليل العتلى . عين اليقين :
هو العلم الحاصل بالمشاهدة : الغرور هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه
وهو نوع من الجبل : وأصناف المغترين كثيرة . فالعبد يكون منهم مغترون

وكذلك الصوفية وأهل الدنيا وأهل العلم . الغضب . هو قوة حمية بها ينلى
دم القلب لطلب الانتقام . الفرق الأول هو أن يحتجب السالك بالخلق عن
الحق فلا يرى إلا الخلق وهو حال المبتدى من السالكين والعوام . الفرق
الثاني . هو شهرة قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة في الكثرة والكثرة في
الوحدة . بغير أن يحجب السالك باحدهما عن الأخرى . الفرق الثاني يقال على
ما ذكرناه في حق اليقين . ويقال على الأوصاف المذمومة بكثرة الريانة .
ويقال على عدم الاحساس بعدم الملك . الفهوانية . خطاب الحق للسالك
بطريق المكافئة في عالم المثال . القبض والبسط . حالتان تحصلان للسالك
المتوسط في الطريق . كما أن الخرف والرجاء للمبتدى . القبض والبسط يردان
على قاب العارف بغير سبب . والخرف والرجاء يتعلقان بأمر يقع في المستقبل
محبوب أو مكروه . الكبر . صفة في النفس تنشأ عن رؤيتها وما يظهر من
التكبر والتعظيم في الظاهر فهو أثر لتلك الصفة . المكون هو العالم أعني ما سوى
الله . كياء السعادة . النجلى عن الأوصاف الذميمة . والتجلى بالأوصاف الحميدة
كقيام العوام . استبدال المقام الأخرى الباقي بالحطام الدنيوى الفانى . كياء
الخراص . تخليص القلب من السكون بإشعار السكون . المرشد المسالك .
هو الشيخ العارف بذلك العلم القادر على الإرشاد . المراقبة . هي استدامة
علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله . المعادة . هي رؤية الحق في كل
ذرة من ذرات الوجود مع تنزيهه عما لا يليق بعظمته . المحبة هي ميل الطبع
إلى الشيء لسكونه لذيذاً . ومحبة السالكين هي ميل قلوبهم إلى جمال الحقيرة
الالهية . الملكوت . هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس المجردة .
المرتبة الأحادية . هي المرتبة المستهلك فيها جميع الأسماء والصفات وتسمى جمع

الجمع . النفس الشهوانية . هي البخار اللطيف الحامل للحياة والحس والحركة الارادية وتطلق عليها الحكماء ائرواح الحيوانى وهو جوهر مشرق على البدن فاذا أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة . وان أشرق على باطن البدن دون ظاهره حصل النوم . وان انقطع اشراقه بالكلية حصل الموت فسبحان الصانع الحكيم . النفس الناطقة . هي جوهر مجرد عن المادة فى ذاته . مقارن لها فى أفعاله . وهذه التى تسمى بالامارة . واللوامة . والمأهمة والمطمئنة . والمرضية . والراضية . والكاملة . فكما انصفت بصفة سميت لأجل انصافها باسم من هذه الأسماء . فان صاغت النفس الشهوانية المذكورة آنفاً وافقتها وصارت تحت حكمها سميت أماراة . وإن سكنت تحت الأمر التكميلى واذعنت للاتباع إلا أنه بقى فيها ميلا للشهوات سميت لوامة . فان زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وزاد ميلها إلى عالم القدس وتلقب الالهامات سميت مأهمة . فان سكن اضطرابها ولم يبق للنفس الشهوانية حكم أصلا ونسيت الشهوات بالكلية سميت مطمئنة . فان ترققت عن هذا وسقطت المقامات من عيها وفنيت عن جميع مراداتها سميت راضية فان زاد هذا الحال عليها صارت مرضية عند الحق والخلق . فان أمرت بالرجوع إلى العباد لأرشادهم وتكميلهم سميت كاملة . هذا . ومنذ ذكر أوصاف كل نفس فى بابها وذكر علاماتها وصفاتها وأحوالها وعالمها ومحاسنها وقبائحها وما يحصل للسالك من خوارق العادات حال اتصاله بواحدة منهن وما يخص كل نفس من الأذكار وغير ذلك بما سيرد عليك مفصلا فى محله إن شاء الله تعالى . ثم اعلم أن هذا الجوهر المذكور المسمى بالنفس الناطقة له أسماء أخرى . فيقال له القلب . ويقال له الطبيعة الإنسانية ويقال

له حقيقة الانسان وهو المدرك العالم المخاطب بالاوامر الشرعية والمطالب
بها وان لهذا الجوهر ظاهرا ومركبا وهو النفس الشهوانية المذكورة
آنفاء وان له باطنا وهو الروح ولباطنه باطن وهو السر والسر له باطن وهو
سر السر ولسر السر باطن هو الخفي والخبى باطن وهو الاخفى وباطن
الشيء حقيقة ومادته ويتضح لك أمر الباطن وباطن الباطن في مثال أضربه لك وهو
ان السرير مثلا شيء باطنه تطع الخشب وقطع الخشب باطنه الشجر والشجر
باطنه العناصر الأربع والعناصر الأربع باطنها الهيولى الاولى فافهم هذا
التحقيق فأنت لا تراه على هذه الكيفية في كتاب آخر لأنك تسمعهم يقولون
الشيء الفلاني باطن الشيء ولكن لا تعلم حقيقة الباطن فاذا عرفت هذا
عرفت أن هذا الامر الواحد الرباني حال كونه في غاية اللطافة والخفي
يسمى بالاخفى وحال تنزله درجة واحدة وتكاثفه يسمى بالخفي وحال تنزله
درجة ثانية وتكاثفه تكاثفاً أفسوى من الاول يسمى بسر السر ثم كذلك
يسمى بالسر ثم كذلك فيسمى بالروح ثم كذلك فيسمى بالقلب وبالنفس
الناطقية وباللطيفة الانسانية وبحقيقة الانسان ففي هذه الدرجة يسمى بأربعة
اسماء وان تنزل درجة اخرى فيسمى حينئذ بالانسان الحيواني وبالنفس
الامارة واعلم أن المراد من سائر طرق التصرف ترقى هذا الامر الرباني
شيئاً فشيئاً الى مقامه الاول بالعلاجات والادوية التي وصفها أكمل السالكين
وروح المرشدين وحبيب رب العالمين محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتم
التسليم وهي الصيام والقيام وقلة الكلام والشفقة على الانام والذكر المدام
والفكر التمام وأكل الحلال وترك الحرام وغير ذلك مما سيذكر مفصلاً
ان شاء الله تعالى من غير خروج عن دائرة الشرع ولا مقدار ذرة لان كل

من تداوى بغير دواء الشرع لا يشفى مرضه بل يزداد مرضا على مرضه وإذا كان السالك الطالب للسالك في الدرجة الأخيرة أخص درجة الإنسان الحيواني وكانت نفسه أماره بالسوء فدواءه الذي يرتقى به إلى درجة القاب لا اله إلا الله لكن ينبغي أن يكون ذكره في جميع أوقاته ويكون بالجهر والشدة والقوة لينبه أعضائه من الغفلة وإن كان السالك في درجة القاب وأراد الترقى إلى مقام الروح فدواءه تقليل الطعام والنام والذكر بافضة الله مع الاكثار آناء الليل والنهار وسنذكر في الابواب الآتية جميع ما يحتاج إليه السالك في سفره من الادوية التي يترقى بها درجة بعد درجة الى أن يصل إلى ما تنزل منه وهو الصورة الآدمية التي كانت قبلة للملائكة والله المستعان وهو المراد في الشهود والوجود فلا انكار ولا جود ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم رب يسر ولا تعسر وأنت الكريم

الباب الأول

﴿ في ذم الدنيا ولذاتها وبيان حقيقتها ﴾

اعلم ان الدنيا عبارة عن كل ما قبل الموت خيرا كان أو شرا ولذلك استثنى منها النبي صلى الله عليه وسلم حين ذمها ما هو خير فقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله عز وجل وفي رواية أخرى الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالمها ومتملها وفي رواية أخرى الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امرأ بمعرف أو نبي عن منكر وذكر الله تعالى وفي رواية الا ما ابتغى فيه وجه الله عز وجل فهذه الاشياء التي استثناه المصطفى صلى الله عليه وسلم هي من الدنيا أيضا لانها وجدت في هذا العالم وانما أخرجها لانها تصحب العبد بعد الموت وقال صلى الله عليه وسلم حبيب الى من دنيا كم ثلاثة النساء والطيب وقرة عيني في الصلاة فعد الصلاة من الدنيا لدخول حركتها في

الحس والمشاهدة الظاهرة فعلم من هذا أن كل لذة لها ثمرة بعد الموت فهي ليست من الدنيا بل هي من الآخرة وأما الأشياء التي فيها لذات عاجلة ولا ثمرة لها بعد الموت فهي الدنيا المملوءة كالعاصي والمباحات الزائدة على الحاجات وبقى قسم ثالث متوسط بين القسمين المذكورين وهو كل حظ في العاجل يعين على أعمال الآخرة كقدر الحاجة من المأكل والمشرب والملبس والمذبح فهذا من القسم الأول المحمود وهو معدود من الآخرة أيضا لأنه يعين عليها فعلى هذا إذا أكل الرجل في نصف بطنه يكون قد التذباله لعام وأرضى مولاه فيحوز حظ الدنيا والآخرة وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم البسوا واكلوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة. إذا عرفت هذا عرفت أن الدنيا هي كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وكل شيء يعينك على التوجه إليه فهو أخرى وإن كان من حيث الصورة معدود من الدنيا لأنه وجد في هذا العالم وقد بين الله تعالى حقيقة الدنيا بقوله (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومفرقة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) (١) ومنبع هذه الخبائث من سبعة أشياء ذكرها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن السآب) فهذه السبعة تكون بها

(١) الدنيا محصورة في هذه الأشياء التي ذكرها الله عز وجل لأن الإيجاز في مقام البيان يفيد الحصر. وكل ما كان فيها بحكم الموطن من أعمال الخير فهو وجه من وجوه الآخرة تجلي به الحق في هذه الحياة. وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة.

الخبائث والقبايح وليست هي في نفسها أمورا مذمومة بل قد تكون معينة على
الآخرة اذا صرفت في محلها ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ماد حال الدنيا
لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آتاء الليل وآتاء النهار
ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آتاء الليل وآتاء النهار وقال أيضاً إن الله
يحب العبد الغني الخفي فلو ورد في الأحاديث من ذم الدنيا فهو في حق الدنيا
التي هي بعيدة عن الله ورسوله وهي اللهو والمعجب والزينة والتفاخر والمكان
وغير ذلك مما يلهي القاب عن حضرة الرب قال النبي ﷺ الدنيا لا تنفع
لأحد من كيف وهي سجنه وبلاؤه وقال عليه الصلاة والسلام من أحب دنياه
أضر بآخريته ومن أحب آخريته أضر بدنيته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقال
أيضاً حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال أيضاً يا عجباً كل العجب المصدق
لدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال أيضاً إن الدنيا حلوة خضرة وأن
الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون إن بني إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا
ومهدت تاهوا في الحلية والفساد والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام
لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبداً اكثروا كنزكم عند من لا يضيعه فان كان
صاحب الدنيا يخاف عليها الآفة فصاحب كنز الله تعالى لا يخاف عليه الآفة
وقال نبينا محمد ﷺ في بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى
لم يدرك ما الله صانع به وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فليتوكل
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخريته ومن شبابه لهرمه ومن حياته لموته
وان الدنيا لكم خلقت وأتم خلقتكم للآخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت
مستغيب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار وقال زيد بن أرقم كنا مع
أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه فدعى بشراب فاوتي بماء وعسل ولم

أذناه من فقه بكي حتى أبكى أصحابه وسكتوه فسكت ثم عاود وبكى حتى ظنوا أنهم لا يقدرّون على تسكينته ثم سكت ومسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما أبكاك هذا البكاء قال كنت مع رسول الله ﷺ فرأيتُه يدع عن نفسه شيئا ولم أرى معه أحدا وثملت يارسل الله ما الذي تدفعه عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لي وقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بجدي أسك يعنى مغير الأذن وهو ميت فقال ايكم يحب أن هذا له بدرهم فقالوا ما نحب أنه لنا بشيء فقال فوالله لا الدنيا أهون على الله من هذه عليكم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إنما أخاف من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها وقال رجل يارسل الله أويأتى الخير بالشر يعنى إنما يفتح علينا من الغنائم والأموال خير وهل يأتى الخير بالشر فسكت رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه ينزل عليه الوحى قال فمسح النبى ﷺ عنه العرق وقال أين السائل وكأنه حمده فقال أنه لا يأتى الخير بالشر وأن مما يذبت الريح ما يقتل حبطاً أو يدا إلا أكلت الخضر إذا أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المال خضرة حادة فمن أخذ بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة ذو ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة والخطب بالخاء المهملة أن تأكل الدابة حتى تنتفخ بطنها وتهلك من كثرة أكلها وقوله يلم أن يقرب من الهلاك وثلطت بالمثلثة أى أظقت ما فى بطنها رقيقاً فحاصل هذا الحديث الشريف أن المان قد يكون سيئاً لدمار صاحبه وهلاكه فى الآخرة وذلك إذا صرفه فى المعاصى وتوصل به إلى الشهوات النفسانية

مع أن المال خير فينبغي أن يتوصل به إلى مرضاة الله عز وجل وقوله وأن مما يذبت الربيع يعني مثال كثرة المال كمثال ما يذبت في فصل الربيع فان بعض النبات حاو في فهم الدابة وهي حريصة على أكله والسكن ربما تأكل كثيراً فيحصل بها داء من كثرة الأكل فتتوت أو تقرب من الموت وإن لم تأكل الدابة إلا بقدر ما يسعه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى ينضم ما أكلته فلا يضرها الأكل وكذلك من حصل له مال كثير فان توصل به إلى كثرة الأكل والشرب والتجمل بين الناس قسى قلبه وكبرت نفسه ورأى نفسه أفضل من غيره فحقره وتعاضم عليه ومن قسى قلبه منع ما أوجب الله تعالى عليه من الزكاة وأداء الكفارات وغير ذلك ومن كانت هذه صفاته كان المال شراً له ولا شك أنه يبعده من الجنة ويقربه من النار وإن أدى حقوق المال ولم يحتقر الناس ولم يفتخر عليهم ولا يشتغل بجمع المال بحيث تفوته طاعة من الطاعات ويحسن إلى الناس كان المال خيراً له كما قال النبي ﷺ نعم المال الصالح للرجل الصالح فعلم مما تقرر أن المال في نفسه ليس خيراً ولا شراً وإنما الخير والشر في نفس الرجل فان صرفه في الخير كان خيراً وإن صرفه في الشر كان شراً قال النبي ﷺ تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخيصة وهذا دعاء منه لمن ترك عمل الآخرة واشتغل بجمع المال والتذ بالملايس الحسنة لأن الخيصة من الملابس الحسن وقال ﷺ حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره وفي رواية حجت ومعنى حجت أى سترت والمعنى أن من اتبع الشهوات وقع في النار بفعله وهو لا يبصرها بل يبصر مشتهاه ومن تحمل المشقة الدنيوية والمكاره الإسلامية فقد دخل الجنة أى عمل ما يؤديه إليها وهو لا ينظر إلى الجنة بل إلى المكاره وقال ﷺ فوالله لا الفقر

أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم يعني فترغبون فيها فيكثر اشتغالكم في جمعها فتقل طاعتكم ويحصل بينكم العداوة بسببها وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً كفافاً وقال أيضاً قد أفلاح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه وعن مطرف عن أبيه قال أتيت النبي ﷺ وهو يقرأ الهامكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي فهل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأغيت أو لبست فأبليت أو تشدقت فأمضيت وقال ﷺ ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس يعني ليس الغنى من كثرة متاعه وحطام دنياه ولكن الغنى من قنع بما أعطاه الله وقال أيضاً أن الله يقول ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غناً وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك وقال ﷺ لرجل وهو يعظه اغتني خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ ما ينتظر أحدكم الا غنى مطعياً أو فقراً منسياً أو مرضاً مفسداً أو هرماء مفنداً أو موتاً مجزأً أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر . يعني أن أحدكم ينتظر لهذه الأمور فلم تحصل الأعمال الصالحة يتوجه الى الله بمجاهدة نفسه قبل أن ياتيه شيء من الاشياء المذكورة فتشغله عن طاعة ربه لان الغنى يطغيه فيمتنع عن الطاعة والفقر ينسيه الطاعات لما فيه من الجوع والعري والمرض يسد قواه والهرم يضعفه ويعجزه ويكره الناس فيه من كثرة كلامه لان معنى المفند الكلام المنحرف عن الصحة ويقال أفند الرجل اذا كثر كلامه من الكبر والموت المجز هو

المسرع وقوله أو الساعة بالنصب عطف على غنى وقوله والساعة بالرفع مبتدأ أو خبره أدهى يعنى أن الرجل في الدنيا متعرض لهذه الاحوال المذكورة وبعدها ما هو أشد وأمر وهو الساعة الموعودة فالسعيد من اشتغل بما ينجيه ويرفع قدره ويترك ما يرديه ويحرقه في الآخرة قبل نزول هذه الحلات وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا نهى عن اتخاذ الضيعة وهى البساتين والمزارع لان الخلق خلقوا للعبادة وسر العبادة الذكر والفكر فى جلاله وجماله تعالى بالقلب الفارغ عن جميع الاغيار وصاحب الضيعة يصبح ويمسى متفكرا فى خصومة الفلاحين والشركاء وأعوان السلاطان وخيانة المذكورين له وأخذهم ماله وغير ذلك واعلم ان كل ما يشغل قلبك من أصناف الاموال فهو كالضيعة وانما خصها صلى الله عليه وسلم بالذكر لانها الاغلب فى ذلك ويدخل فى هذا كل الصنائع والحرف والتجارة لان الضيعة تطلق على كل ما يكون منه معاش الرجل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان جائعان أرسلا فى غنم بافسد لهما من حرص المرء على المال والشرف لدينه يعنى حرص الانسان على المال والشرف أفسد لدينه من افساد الذئبين للغنم والمراد بالشرف الجاه والعز والرياسة والمناصب وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير فقام وقد أثر فى جسده الشريف فقال ابن مسعود يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك يعنى فراشا ونعمل لك يعنى بيتا حسنا فقال مالى والدنيا وما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أغبط الاولياء عندى لمؤمن خفيف الحاذ له حظ من صلاة وصيام أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السرو كان غامضا فى الناس لا يشار

إليه بالإصابع وكان رزقه كفاً فاصبر على ذلك ثم نقد صلى الله عليه وسلم
 بيده فقال عجلت منيته قلت بوا كيه قل تراثه فقوله اغبط الأولياء أى
 أقربهم وأحبهم وأجلهم من كان موصرفاً بهذه الصفات وقوله خفيف الحاذ
 بالذال المعجمة واللام يعنى تأيل الحال وقوله نقد بيده بالنون والقاف
 والذال المهملة وفى رواية نقر بيده بالراء أى صوت بيده يعنى ضرب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم إبهامه بوسطاه حتى سمع منه صوت وهذا فعل من
 عجب من شئ أو أى شيئاً حسناً أو ظهراً فى نفسه قللة المبالاة بشئ أو أظهر
 طرباً يعنى من كانت هذه صفاته فهو بمنزلة يتعجب من حسن حاله وقلة حزنه وعدم
 مبالاة بالدينار وكثرة طربه وقال عليه الصلاة والسلام عرض على ربي
 ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً فقلت لا يارب بل أكون نبياً عبداً أشبع يومافان
 جمعت تضرعت اليك وذكرتك وإن شبعته حمدتك وشكرتك وعن المقدم
 بن معدى كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ آدمى
 وعاء شراً من بطن بحسب ابن آدم أكيالات يقمن صلبه فإن كان لا محالة فثلث
 طعام وثلث شراب وثلث لنفسه وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يتجشأ فقال له أقصر من جشائك فإن أطول
 الناس جوعاً يوم القيامة أطولهم شبعاً فى الدنيا وقال ابن عباس رضى الله
 عنهما ان الله عز وجل جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء منها للمؤمن وجزء
 للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع واعلم أيها
 الاخ الراغب فى بديع الجمال ومنيع الوصال ان الاحاديث الواردة فى ذم
 الدنيا وأهلها لا تخص وما ذكرناه يكفى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو
 شهيد وأما من كان محباً فى الدنيا راغباً فى شهواتها منهمكا فى طلبها فلا تفيد

الأحاديث ولا غيره ومن أحب الله تعالى عادى عدوته وهما الدنيا والشيطان
لأنه تعالى لم ينظر إليها منذ خلقها قال عيسى عليه السلام من ذا الذى يبني
على موج البحر داراً ويحكم الدنيا لا تتبخر ذوها قراراً وقال أيضاً يا معشر
الحواريين ارددوا بدنىء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنىء
الدين مع سلامة الدنيا ولذا قال بعضهم شعراً

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنحى عن خطبها تسلم
ان الذى تخطب غدارة قريبة العرس من المآتم
وقال آخر

ياراقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحاراً
أفنى القرون التى كانت منعمة كر الجديدين اقبالاً وادباراً
وقال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى مثال العبد فى نسيانه نفسه
وربه مثل الحاج الذى يقف فى بعض منازل الطريق ولا يزال يحلف ناقته
ويتعهدا بألوان المأكول والحشيش ويبرد لها الماء حتى تفوت القافلة وهو
غافل عن الحبح ومرور القافلة وعن بقائه فى البادية وحده فريسة للسباع هو
وناقته فكذلك الرجل إذا اشتغل فى تحسين أكله وشربه وملبسه ونهى
ما خلق من أجاء وهو العمل الصالح انقطع فى دار الوحشة والظلمة وصار
فريسة للشيطان والعياذ بالله تعالى

فالعافل لا يهيمه أمر نفسه ودنياه إلا بقدر ما يقوى به على سلوك طريق
الآخرة فالسعيد من عرف ما خلق له واستعد له وعمل عما سواه (١) فلم يقدم

(١) لكل شئ غاية ولكل غاية وسيلة والغاية من الإيجاد أنت أيها
الإنسان . فكل شئ فى الوجود خلق من أجلك وأنت خلقت لله . ومن
الضلالة أن تشغل بما خلق من أجلك عما خلقت أنت من أجله فالعافل من
جعل دنياه لآخرته وجعل آخرته لله قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى
لله رب العالمين لا شريك له .

على الدنيا إلا للحاجة والضرورة. والشقي من غلبته الشهوة والغفلة فيسعى
وبكمسب حتى يأكل ويلبس ويتنعم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سرى وعلايتي ولا يخفى عليك
شيء من أمري وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر
المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وابتل إليك ابتهاج المذنب الذليل
وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبة وفاضت لك عبراته
وذل لك جسمه ورغم لك أنفه لا تجعلني بدعائي شقياً وكن لي رءوفاً رحيماً
اللهم يا خير المسؤولين ويا خير المعطين نجني واخواني مما يقطعنا عن جنابك
واجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلباً لأوليائك عاوا لأعدائك
نحب بحبك من أحببته ونعادي بعداوتك من عاديتته وصلى الله على سيدنا محمد
وعلي آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني

﴿ في الحث على سلوك هذه الطريقة وبيان فضائلها ﴾

اعلم أن طلب الكمال من أشرف الخصال والكمال هو التحلي عن الأوصاف
الذميمة والتحلي بالأوصاف الحميدة فالأوصاف الذميمة هي الجهل والغضب
والحقد والحسد والبخل والتعاضم والتكبر والعجب والغرور والرياء وحسب
الجاه والرياسة وكثرة الكلام والازاح والتزين للخلق والضحك والتهاجر
وتتبع العورات والأمل والحرص وسوء الخلق

وأما الأوصاف الحميدة التي ينبغى الاتصاف بها لطلب الكمال فهي العلم
والحلم وصفاء الباطن والكرم والتذلل والرفق والتواضع والصبر والشكر

والزهد والتوكل والمحبة والشوق والحياء والرضا والاخلاص والصدق والمراقبة والمحاسبة والتفكير والشفقة والرحمة على الخلق والحب في الله والتأني في الأمور والبكاء والحزن وحب الخمر وحب العزلة وسلامة الصدر والنصح وقلة الكلام والخشوع والخضوع والحضور وانكسار القلب وحسن الخلق

والمراد من سلوك طريق التصوف هو الاتصاف بالكمال والخلاص من قبيح الخصال ، وهذا شيء مطلوب مأمور به (١) أما الخلاص من الغضب فلقوله صلى الله عليه وسلم ما غضب أحد إلا أشقى جهنم وروى أبو هريرة أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وإن قل قال لا تغضب . ثم أعاد عليه الكلام فقال له لا تغضب وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تعدون القوى منكم قلنا الذى لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذى يملك نفسه هند الغضب ويكفى من قبح الغضب قبح صورة الغضبان الظاهرة وصورة باطنه أقبح وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها غضبت مرة فقال لها جاء شيطانك فقالت وما لك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله فأعاني عليه فأسم فلا يامرني إلا بخير وبالجملة فالغضب خصلة ذميمة تحصل من غليان دم

(١) لقد جعل الحق تبارك وتعالى فلاح العبد فلاحاً مطلقاً في دنياه وآخرته متوقفاً على تزكيته لنفسه كما جعل خسران العبد في الدنيا والآخرة متوقفاً على عدم التزكية منه لنفسه فقال جل وعلا قد افلح من زكاه وقد خاب من دساها . فالتزكية بمثابة الشرط في الفلاح والموقوف على الشيء يندم بانعدامه فمن لا تزكية لنفسه لا فلاح له . والتزكية هي الغاية من الرسالة المحمدية كما قال صلى الله عليه وسلم : إنما بعثت لأتم مكارم الاخلاق : فترك التزكية ترك للغاية التي من أجلها شرع دين الله .

القلب لطاب الانتقام وضده الحلم وابتدأوه بالتعلم حتى يصير عادة وإذا قال عليه الصلاة والسلام العلم بالتعلم والحلم بالحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه وقال ﷺ اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون وامن تتعلمون منه ولا تكونوا جبابرة العلماء فيغلب جهلكم عليكم وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم على من جهل عليك والأحاديث التي في ذم الغضب ومدح الحلم كثيرة ولايتوصل إلى الخلاص من الغضب المذموم بالكلية والاتصاف بالحلم المحمود الذي يصير طبيعة إلا بسلوك سبيل التصوف. لأن به تنكسر قوة الغضب ويدخل تحت سياسة العقل والشرع فحينئذ يصير في قبضة اليد مغلوباً وهو غالب فان غضب فلا يغضب إلا لله والغضب لله مقام عالي لا يقدر عليه إلا من ترقى إلى المقام الرابع الذي تسمى فيه النفس بالمطمئنة ومن ادعى وهو دون هذا المقام فهو كاذب تلبس عليه الحق بالباطل

قال علي رضي الله عنه كان النبي ﷺ لا يغضب للدين بل يغضب لله تعالى وإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد يعني من شدة غضبه على اظهار الحق وإخفاء الباطل (وأما الحسد) فهو من قبيح الخصال أيضاً ولا يمكن قطع مادته بالكلية إلا بسلوك طريق التصوف كما سيأتي في الأبواب الآتية

قال ﷺ الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب وحقبة الحسد أن يكره الإنسان نعمة الله تعالى على أخيه فيحب زوالها عنه وإن كان لا يكره ذلك لأخيه ولا يريد زوالها ولكن يريد لنفسه مثلها سمي غبطة وهو ليس مذموماً قال النبي ﷺ المؤمن يغبط والمنافق يحسد قال الله تعالى

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بغضكم على بغض) فالمراد من الآية النهى عن التمنى بانتقال تلك النعمة عنه اليه بعينها لأن تمنى أن ينعم عليه بمثلها غير مذموم ولا محمود هذا إذا كان في الأمور الدنيوية أما إذا كان في الدين فهو محمود

(وأما الحقد) فهو قبيح أيضاً لأنه ينتج الحسد والتهاجر والتباغض والتقاطع وتتبع عورات من أنت حافد له وقد قال النبي ﷺ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة فمن هجر فوق ثلاثة فمات دخل النار وقال أيضاً لا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تداربوا وكونوا عباد الله اخواناً وقال ﷺ دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهي الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولا تترك الدين وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من أسلم بإسائه ولم يفيض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف رحله وأعلم أن الهجر يجوز إذا كان لغرض شرعي ولذا هجر النبي ﷺ زوجته زينب أياما وذلك لأن النبي أمر زينب أن تعطي لصفية بهيراً فقالت أنا أعطى تلك اليهودية فغضب ﷺ فهجرها شهر ذي القعدة وذى الحجة ومحرم وبعض صفر

(أما البخل) فهو مما ذمه الله ورسوله قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون بما بخلوا به يوم القيامة) وقال النبي ﷺ اياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حمائم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال أيضاً السنخ قريب من الله وبعيد من عذابه قريب

مئى والىخى لايدخل النار وأنا رفقة والبخيل لايدخل الجنة وابليس رفقة
وحقيقة السخاء أن تجود بما فضل عن حاجتك والايثار أعظم منه لأنه أرفع
مخرجات السخاء وهو أن تجود بالمال مع الحاجة اليه (أما الكبر) فهو من
الخصال المذمومة أيضاً كما قال الله تعالى (سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون
فى الأرض بغير الحق) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار) وقال تعالى (وعاب كل جبار عنيد) وقال النبى ﷺ لايدخل الجنة
من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر وقال الله عز وجل فى الحديث القدسى
الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحد منهما لقيتيه فى النار
والكبر صفة فى النفس تنشأ من رؤية النفس

(وأما العجب فهو من الخصال المذمومة أيضاً) ولذا قال ﷺ ثلاث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وحقيقة العجب تكبر
يحصل فى الباطن من تخيل كمال من علم أو عمل وينبغى لاسالك إذا دخل عليه
العجب أن يتفكر فى حال من مات على الكفر بعد ما كان عابدا لكونه
أعجب بنفسه كماهام بن باعوراء ويتفكر فى حال إبليس فإنه طرد من رحمة
الله تعالى لذلك وأن يقول لنفسه لا تعجبى بالعمل حتى تتحققى أن الله تعالى
قبله لأن العمل الذى لم يتحقق قبوله لا يعجب به صاحبه ولا شك أن الله تعالى
ذم العجب فقال ويوم حنين إذ أعجبتكم كثيركم فلم تغن عنكم شيئا (وأما الغرور
فهو من أسباب المالك كما قال الله تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم
بالله الغرور) والغرور هو اعتقاد الشئ على خلاف ما هو عليه وسكون
النفس إلى ما يوافق الهوى من الخيالات والشبه فهو نوع من الجهل وأنواع
المغترين كثيرة فمنهم من اغتر بأن الله كريم رحيم وخاض فى المعاصى ولا

شك أن الله كريم رحيم ولكن جميع الآيات القرآنية دالة على أن كرمه ورحمته تعالى بتوفيقه في الدنيا للخيرات قال الله عز وجل وافعلوا الخير لعلمكم تفعلون وقال تعالى من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومنهم من اغتر بصلاح آبائه وأجداد، وقربهم من الله تعالى ولم يتفكر في قوله تعالى لنوح عليه السلام إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) ومنهم من اغتر بمجرد زى الصالحين والصوفية ورضى به وظن أن التصوف لبس الصوف فقط ومنهم من اغتر بخلع العذار وترك الأعمال ومنهم من اغتر بحفظ كلام السادات واصطلاحاتهم ومنهم من اغتر بما فتح الله عليه من المعرفة ووقف عندهما لظنه أنه قد وصل وأحوال المعترين كثيرة فالذى يجب على السالك أن لا يغتر بشئ ولا يقف عند شئ ولا يرضى بسفساف الأمور بل يطلب التحقيق واليقين ويترك الشبه والأهواء ولا يعتقد الشئ إلا على ما هو عليه لأن للشيطان دسائس كثيرة ولا تجوز حيلته إلا على المعترين وسأذكر لك جملة قليلة من حيله في الخاتمة إن شاء الله تعالى على ما ذكره العارفون (وأما الرياء فهو حرام) لقوله تعالى فويل للصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون .

وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحد أو قال النبي صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جازى العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا

فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء واعلم أن المرأى لا شك أنه يريد أن يكون له في قلوب الناس منزلة وهذا الذي يبعثه على الرياء وطالب طريق الحق يجب عليه أن يسعى على إسقاط منزلته من قلوب الخلق (وأما حب الجاه والرياسة) فإنه مذموم قاطع عن طريق الله تعالى ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم من الشر إلا من عصمه الله تعالى أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه أو دياره وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك واكتم واصمت تسلم وتسرا الأبرار وتغيظ الفجار وقال إبراهيم بن أدهم قدس سره ما صدق من أحب الشهرة واعلم أن حب الشهرة مذموم وأما نفس الشهرة وهي انتشار الصيت فقد تكرر محمودة وقد تكون مذمومة فإن قصد بها تعظيم نفسه واحتقار غيره فهي مذمومة وإن قصد بها إرشاد الخلق ونفعهم فهي محمودة مثاب عليها ولا شك أن جاه الأنبياء والخلفاء الراشدين أوسع من كل جاه وهم مثابون عليه وعلامة الجاه المحمود أن يكون صاحبه كالمسكف في حملة وإذا جاء من ينوب عنه ويكفيه التعب فرح به واغتتمه ولم يغتظ منه بل يرى منته عليه وعلى كل حال متى مامال قلب السالك إلى حب الجاه والرياسة أقطع عن الطريق فيجب عليه حب الخمول وتعاطي أسبابه وهي لبس الأشياء التي تسقط منزلته عند الناس حتى إذا دخل في مكان لم يعتن به أحد ولا يرد عليه السلام وهذا حال المرید الصادق (وأما كثرة الكلام) فهي مذمومة لأنها يتولد منها أمور محرمة وأمر مكرهة مثل ذكر المعاصي السالفة وذكر أحوال النساء والمجادلة التي هي المرأة والخصومة والتشدد في الكلام بتكلف السجع والتصنع والسب والفحش واللعن والمزاح الزائد على الشرعي والسخرية والاستهزاء وإفشاء السر والكذب

واليمين والغيبة والنسيمة والخوض فيما لا يعنى وأمثال هذه المحرمات . وآفة
 اللسان آفة مهلكة لم يكن أخطر منها وجميع القبائح متفرعة منها ولذلك مدح
 النبي صلى الله عليه وسلم الصمت وحث عليه وأمر به فقال الصمت حكمة وقليل
 فاعله وقال أيضا من صمت نجى وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذين جبل وهل
 يكب الناس في النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وكان أبو بكر الصديق
 رضى الله عنه يخاف من فلتات اللسان فيضع في فيه حصاة لئلا يتنعه من الكلام
 وكان يقول هذا الذى أوردنى الموارد ويشير الى لسانه ومن أعظم ما روى
 عن ابن مسعود رضى الله عنه من آفة اللسان كان يقول الله اكبر ما من شيء
 أحق بالسجن من اللسان وقال عليه الصلاة والسلام مررت ليلة أسرى بي على
 قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقالت يا جبريل من هؤلاء قال الذين
 يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم والغيبة ان تذكر الانسان بما يكره ولو فيه
 وتعلم انه لو سمعه لكرهه سواء كان في بدنه أو نفسه أو فعله أو دينه أو دنياه
 أو قرله أو ثوبه أو داره أو دابته أو خير ذلك فتي ذكرته بشيء من هذه
 الأشياء وكان ذلك الشيء فيه وتعلم أنه إذا سمعه تالم كان غيبة وان لم يكن ذلك
 الشيء فيه كان بهتاناً وهو أمر من الغيبة ولا فرق بين ان يكون المقتاب حاضراً
 أو غائباً والا حاديث الواردة في النهي عما ذكرناه من آفات اللسان كثيرة
 ومن لم يؤثر فيه سماع القليل لم ينفعه الكثير وبالله التوفيق (وأما المزاح)
 فهو من الامور المذمومة لانه يميم القلب ويعقبه ظلمة لو عرف السالك
 مآته من حاله بسبب المزاح لما فعله مرة أخرى ويعرفها من كان باطنه منوراً
 و أما أصحاب الظلمة فلا يحسون بآفة المزاح ولذا قال صلى الله عليه وسلم
 لا تمار أخاك ولا تمزحه فان قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح فاقول

لك صدقت ولكن كان يقول حقاً وأنت لا تنظر على ذلك فالأولى لك تركه
الأنى بعض الاوقات وذلك عند ازدياد القبض وضيق الصدر أما التزين للخلق
فانه يشغل السالك ويتطعمه عن مطالبه لانه يحتاج الى تحصيل ما يزين به من
اللباس والتطيب وتسوية العمامة وغير ذلك وما يابيه عن ذكر ربه وعن
الحضور والمطلوب من السالك أن يكون مجهولاً في نظر الخلق ليس
له في قلوبهم منزلة والتزين لهم ينافي ذلك هذا حال السالك (وأما المرشد)
وهو الذى أقامه الله تعالى لدعوة الخلق الى الحق فالواجب عليه ان لا يفعل
ما يسقطه من أعين الخلق لانه يفسد حالهم ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا
أراد الخروج على أصحابه ينظر فى المرأة ويسوى عمامته وشعره وسالته
عائشة رضى الله عنها عن ذلك فقال ان الله تعالى يحب العبدان يتزين
لإخوانه اذا خرج اليهم (وأما التفاخر) فهو مذموم منهى عنه لقوله صلى
الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا
يبيع أحد على أحد أى لا يظلم أحد أحداً والتفاخر قد يكون بالمسال وقد
يكون بالآباء وقد يكون بالعبادة وكله مذموم قبيح على الخصوص بالنسبة
الى السالك لانه طالب ان يتحقق بالعبودية ولا ينازع فى الربوبية وهذه
الاشياء كلها مناقضة للعبودية (وأما الضحك فهو من الخصال المذمومة) المميته
للقاب ولذلك لم يضحك عليه الصلاة والسلام إلا نادراً لكنه كان كما قال جرير
ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت الا وقد تبسم والتبسم مقبول
محمود عند الله ورسوله وعند الناس والضحك يمت القلب فلا يناسب السالكين
(وأما الأمل والحرص) فهما من الخصال القبيحة والاتصاف بهما من شأن
المبعودين عن حضرة الله تعالى قال ابن عمر رضى الله عنهما أخذ رسول

الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدى وقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وقال أيضا مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وأمى نطين شيئا فقال ما هذا يا عبد الله قلت شيء نصلحه فقال عليه الصلاة والسلام الأمر أسرع من ذلك يعنى ان الموت أقرب منه (وأما سوء الخلق) فإنه من الطباع المذمومة عند الله وعند الناس وحسن الخلق محمود عند الله وعند الناس قال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يدخل الجنة الا حسن الخلق وكان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله خص الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة مع من أنت ملتزم بمعاشرته وكرم الطبيعة ولين الجنب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أو كافرا وتوقير ذى الشبهة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا والعفو عن المسىء وكظم الغيظ والاصلاح والجود والكرم والسماح والابتداء بالسلام والعفو عن الناس . وازهد الاسلام للهو والباطل والغنى والمعازف كلها وكل ذى وتر والبخل والشح والطيرة والكذب والغيبة والنميمة والجفاء والمكر والخديعة وسوء ذات البين وقطيعة الرحم وسوء الخلق والتكبر والاختيال والحسد والحقد والمزاح والفحش والظلم والبغى والعدوان أو كما قال ثم قال انس رضى الله عنه لم يدع عليه الصلاة والسلام نصيحة جميلة الا دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو عيبا إلا وحذرنا منه ونهانا عنه ويدل على هذا كله قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .

وأعلم أن ما ذكرناه من الأوصاف المذمومة هو بعض القبائح الذى ينطوى عليها الانسان وأما ذكر جميعها فلا يمكن لكن من سلك الطريقة على ما سنينه فى الأبواب الآتية خاص من جميع الرذائل والآفات الباطنة والظاهرة لأن السالك الصادق فى سلوكه يقطعها من أصلها فلا يبقى لها أثر أصلا ويستعين بالعلاجات التى ستذكر ان شاء الله تعالى .

وأما من أراد أن يخلص عن أوصافه بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب الحال ولذلك ترى الابرار وإن سعوا فى الخلاص من صفة من الصفات وتيسر لهم ذلك وقعوا فى صفة أخرى وخصله أفبح من الأولى وذلك لأنهم لم يسلكوا طريق المقرين المنجى من جميع الآفات بهم على خطر وإن أخلصوا وأخلصون على خطر عظيم اذا عرفت هذا عرفت فائدة سلوك طريق المقرين وهذا أدنى فوائده وأما الفائدة المقصودة بالذات من هذا الطريق فهى الوصول إلى منازل القرب من حضرة الرب والتجليات الأسماوية والصفاتية والخلافة الكبرى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الباب الثالث

فى بيان الحجب التى بين العبد وربّه وبيان ما يحتاج إليه السالك فى رفعها عن اللطيفة الانسانية من التوبة والانابة والتجرد عن الاسباب وغير ذلك مما لا بد منه

اعلم أن الروح الاعظم وهو الروح الانسانى الذى هو من أمر ربه عظيم ولطيفة ربانية لا يعلم كنهها الا الله تعالى وله فى العالم الكبير أسماء ومظاهر وله فى العالم الصغير أعنى عالم الانسان أسماء ومظاهر أيضا فاسماؤه

ومظاهره في العالم الكبير العتمل الأول والفلم الاعلى والروح والحقيقة المحمدية
والروح المحمدى والنور والنفوس الكلية التي قال الله فيها خلتكم من نفوس
واحدة واسماؤه ومظاهره في العالم الصغير الاخفى والخبى وسر السر والسر
والروح والقلب والنفوس الناطقة واللطيفة الانسانية وهو أعنى الروح الاعظم
والخليفة الأكبر المنزل الى هذه المرتبة أول موجود أبدعه الله تعالى
وأوجده وهو الخليفة الأكبر والسر الأعظم وأول تنزلاته لأنه من المقام
الأخفى إلى الخفى وآخرها القلب فافهم واعلم أن القلب هو بعينه الروح الاعظم
والخليفة الأكبر المنزل إلى هذه المرتبة وهو المدبر للجسم الإنسان المتعلق
به تعلق العاشق بالمعشوق وذلك بواسطة الروح الحيوانى اعنى النفس الشهوانية
المذكورة في المقدمة لأن الروح المذكورة في غاية اللطافة والجسم في غاية
الكثافة والروح الحيوانى بين اللطافة والكثافة فلذلك صااح أن يكون واسطة
بين الروح الاعظم بعد تنزله وبين الجسم ولتعايق الروح مع النفس الشهوانية
سمى قلبا وكان ذا جهتين جهة لعالم الحس والشهادة وجهة لعالم القدس والغيب
اوصارت النفس الشهوانية لكشافتها كاشيء اخى الكشيف الذى يطلى به وجه
الزجاجة الواحدة لترى الصور في وجهها الآخر وكذلك كان القلب أشرف
الاشياء وأعظمها ومحل التجليات وخزينة أسرار الله تعالى ومحل انتقاش
الحقائق الحقية والخلقية وقد وصفه الله تعالى بقوله ذلك لمن كان له قلب
اذ ليس المراد من القلب في الآية القطعة اللحم التي هي في جوف الإنسان
لأن تلك يشترك فيها كل الحيوانات بل المراد اللطيفة الربانية واعلم ان الذى
قال الله تعالى فيه له قلب هو المرشد الكامل وقوله أو ألقى السمع وهو شهيد
يعنى المرشد المسترشد الطالب للكمال لأن هذا الأمر ليس متيسراً لكل إنسان

لأنه إذا توجه إلى عالم الشهادة بحيث ينسى عالم القدس حجب عنه ما فيه من الخواص العلوية وصار حيوانا وإن توجه إلى عالم الغيب والقدس بحيث ينسى عالم الشهادة حجب عنه أيضا ما عرض له من الخواص السفلية وصار روحانيا وإن توجه إلى أحد العالمين ولم يذهل عن الآخر كان إنسانا كاملا وهذا مقام عال لا يتيسر لأحد إلا لمن سلك طريق المقربين بعد مجاهدة النفس الجهاد الأكبر ومتى كان القلب متوجها إلى الجسد بالتمتعات واللذات الدنيوية والشهوات النفسانية كان محجوبا عن الله تعالى بسبعين حجرا ويسمى القلب في هذه المرتبة بالنفس الأمارة لأنه حينئذ يتصف بالغضب المذموم وبالخذل والحسد والكبر والتعاضم والعجب والغرور وسوء الخلق وغير ذلك من الاوصاف المذمومة المذكورة في الباب الثاني وهي النجاسات المعنوية المبعدة عن حضرة ربه ولا يستغرب هذا الأمر فإن اتباع الشهوات يجعل العزيز ذليلا ولذا روى أن امرأة العزيز قالت لسيدنا يوسف عليه السلام يا يوسف إن الحرص والشره صير الملوك عبيدا وإن الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال لها إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وذلك لأن القلب حقه أن يكون أميرا على البدن والجسد مطيعا لأوامره ونواهيها فإذا غلبت الشهوات عليه صار الأمير مأمورا وانعكس الأمر فيصير الملك أسيرا مسخرا في يد كلب أو عدو قاهر ولهذا كان الإنسان إذا أطاع داعية الشهوة والشره يرى نفسه في النوم ساجدا بين يدي خنزير أو حمار وإذا أطاع الغضب يرى نفسه ساجدا بين يدي كلب .

واعلم أن الإنسان إذا نسي نفسه في هذه المرتبة الملعونة وطال وقوفه فيها كان ذلك سببا في إبطال خاصيته وهي القدرة على التوجه إلى عالم الغيب

وابطال خاصيته هو المعبر عنه بسواد القلب وبالطبع والرین لان القلب
كالمرآة متى كانت صافية عن الصد أو الكدر يشاهد الانسان فيها الاشياء و اذا
غلب عليه الصد ولم يكن لها ما يصقلها ويدفع الصد عنها تمكن منها
الصدأ وغاص في جوهرها وصارت بحيث لا يقدر الانسان على ازالته وقد
اشار صلی اللہ علیہ وسلم الى ذلك بقوله إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما
جلاؤها يا رسول الله فقال ذكر الموت وتلاوة القرآن وفي رواية ذكر الله
وذكر الغزالي رحمه الله تعالى في مختصر الاحياء انه روى عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب
المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أخاف مربوط على
خلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الإيمان فيه أى
في القلب المصفح مثل البقلة يمدّها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة
يمدّها القيح والصد يدفأى المادتين غلبت عليه حكم له بها فالمراد من القلب
الاول قلب المؤمن السكامل العارف والمراد من القلب الرابع قلب السالك في
حال سلوكة فان تتبع الشهوات ومال الى المخالفات هلك وبقي في سجين
الطبيعة ومتى كان القلب متوجها الى عالم الغيب سعى على كشف الحجب
المذكورة شيئا فشيئا فذهب عنه الكدورات الحاصلة من المعاصي وكثرة
الشهوات واستعد للتجليات وانتقشت فيه حقائق الاشياء وكل ما زالت عنه
الشهوات قرب من مقامه الاول المنزل منه وهذا معنى كشف الحجب وان
لم يبق فيه شيء من الشهوات وصل الى مطلوبه لانه لم يبق بينه وبين الله حجاب
وروى الغزالي في كتابه المذكور انه قيل لرسول الله صلی اللہ علیہ وسلم أين الله
تعالى في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين لانه تعالى قال لم يسعني أرضي
ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن الذين الورع بمعنى انه لا يراه الا قلوب

المؤمنين لا بمعنى انه تعالى محل في قلوبهم لأن ذلك محال ولكن قلب المؤمن لما صقل صار كالمرآة وكما أن المرآة يرى فيها صورة المحسوسات التي في عالم الملك كذلك القلب صار يرى فيه ما في عالم الغيب وهذا هو العلم المفسر بحصول صورة الشيء في الذهن لأن المراد من الذهن النفس الناطقة وهي القلب كما عرفت قال عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي فمن أراد الوصول الى هذه السعادات والترقى الى أعلى الدرجات فليدخل أولاً من باب الأبواب وهو التوبة .

وأما سميت التوبة بباب الابواب لأنها أول باب يدخل منه العبد حضرات القرب من جناب الرب والتوبة واجبة على الفور لقوله عز وجل وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ولقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ولقوله تعالى أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد أجمعت الأمة على وجوب التوبة على الفور لأن تأخيرها اصرار محرم وقال ﷺ التائب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة تجب ما قبلها وقال أيضاً التائب جيب الله وقال الله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم إذا كانت راحلته بارض فلاة فأنفثت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس من راحلته وبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده وأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك اخطأ من شدة الفرح وقال النبي ﷺ أن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والآيات والاحاديث في حق التوبة كثيرة لا تسكاد تنحصر وإنما كانت التوبة واجبة على الفور لأن ترك المعاصي واجب على الدوام وإطاعة الله واجبة على الدوام ولذا نقل السنوسى رحمه الله تعالى الاجماع على أن التوبة واجبة على الفور وحينئذ يلزم من تأخيرها تضعيف

الذنوب على من لم يتب وليس هذا كتضاعف الحسنات بل لأن ترك التوبة ذنب فإن لم يتب صار صاحب ذنبين الأول ذنب الفعل القبيح والثاني الذنب الحاصل من ترك التوبة وهذان الذنبان تجب منهما التوبة فإن لم يتب منهما على الفور فصار صاحب أربع وعلى هذا اقياس تضاعف الذنوب لا كتضاعف الحسنات لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها .

فاذا نظرت بعين الإنصاف والشفقة على نفسك رأيت احتياجك الى التوبة أشد من احتياجك الى الماء كل والمشرّب والمسكن لان الذنوب قد حجبتك عن مطالعة الغيوب وحالت بينك وبين محبوب وأعظم الحجب التي بين العبد وربه حجب الذنوب لانها ظلمات وغيرها من الحجب وإن كان لا بد للسالك من السعي في رفعها الا انها نورانية لا تحجب العبد بالكلية لان مثال الحجاب الحاصل من الذنوب كمثال الجدار الحائل بينك وبين مطلوبك فانك لا ترى مع حيلولة ذاتها ولا أثر ولا شبحا بخلاف الحجب النورانية فانها كالزجاجات يرى ما وراءها ولكن يخفى ويظن لكثرتها وقلتها فاذا تكاثرت الزجاجات تكاثرا عظيما يخفى المطالب الذي وراءها لكن لا يخفى كخفاء ما وراء الجدار بل لا بد أن يرى شبحا هذا فيما يرى بالعين من المحسوسات وكذلك القلب متى كانت عيناه التي تسمى بالبصيرة مستورة بظلمات المعاصي المسمى بالران والطبع والختم كان لا يرى شيئا من أنوار الغيوب فحينئذ لا يبالي بما يفعله من الآثام والذنوب واذا تاب عما هو فيه انكشف عن عين قلبه حجب الذنوب ورأى ما عند الله فصار يخاف عقابه ويرجو ثوابه ويدوم على الطاعات ويحتنب السيئات وينحجب حينئذ بحجب

نورانية وهي اعتماده على هذه الأعمال لانه يعتقد أنه هو الذى أوجدها
ثم بعد ذلك يكشف الله تعالى عنه تلك الحجب ببركة الطاعات فيرى أن المنة
لله تعالى عليه حيث وقته الى هذه الاعمال وانه مقصر في الشكر عليها وأن
المعطي والمانع هو الله تعالى وان الله اذا أراد بعبد خيراً ألبسه لباس التقوى
ليصاح للعرض على حضرته وليس بيد العبد شيء من الخير والشر بل السكل
بيد الله تعالى فاذا انكشف عن عين قلبه هذا الحجاب ظن أنه وصل الى الله
تعالى لما في هذا المقام من اللذة الروحانية فان حفته الالطاف الالهية تكشف
عنه هذا الحجاب أيضاً ولم يزل يقطع الحجب شيئاً فشيئاً على ما هو مرتب في
هذا الكتاب من المقامات والأبواب الى أن يصل الى مقعد صدق ومنازل
الاحباب فافهم ولا تعتقد من تشبيه الحجب بالزجاجات ان الله تعالى شيء
يرى بالعين الباصرة فانه تعالى منزّه عن ذلك والله يتولى هداك واذا فهمت
هذه الاشارة وعرفت أن التوبة من الذنوب واجبة نقلاً وعقلاً وان لا وصول
الى الله الا بها وعرفت أيضاً معنى قوله ان الله تعالى سبعين حجاباً وفي رواية
سبعين أنف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لحرقت سبحات وجهه ما انتهى
اليه بصره من خلقه وفي رواية النار لان المراد من الظلمة الذنوب والخطايا
والمراد من النور التفهات السالك الى اللذات الاخرية والى الكرامات
والنجايات والوصول وغير ذلك من المقامات والاحوال لان السالك مادام
في قلبه شيء من الاشياء فهو محجوب بذلك الشيء عن الله تعالى ولذلك يطول
السلوك على السالكين فيرجع بعضهم من ربع الطريق وبعضهم من نصفه .

والسبحات جمع سبحة وهي ما يسبح به وهي في الحديث استعارة عن
أشعة أنوار ذاته تعالى وفي هذا الحديث أربعة ضمائر الاول في وجهه والثاني

فى اليد والثالث فى بصره والرابع فى خلقه فان رجعت الاول والثالث والرابع الى الله وأرجعت الثانى الى ما الموصولة كان معنى الحديث لو كشف الله الحجب لآحرقت أشعة أنوار ذاته تعالى الاشياء التى ينتهى اليها بصر الله تعالى من خلقه وإذا أرجعت الاول والثانى والرابع الى الله وأرجعت الثالث الى ما الموصولة كان المعنى لو كشف الله الحجب لآحرقت أشعة أنوار ذاته تعالى كل خلق انتهى بصره الى الله عز وجل وعلى الوجه الثانى اراد من الخلق الذى انتهى بصره الى الله هو السالك الذى تطعم عقبات النفوس وأطلق من قيد الانانية وتخلص من مقتضيات البشرية وتحرراً لقبول تجليات الانوار الوجيهة والمعنى لو كشف الحجاب المذكور عما بين السالك وبين الانوار الوجيهة لآحرقت أشعة هذه الانوار البقية التى بقيت فى السالك ولم يقدر ان يحرقها بنار المجاهدة وذلك لان السالك يصل الى المقام السادس بالمجاهدة والرياضة وأما وصوله الى المقام السابع فلا يكون الا بجذبة من جذبات الحق تعالى وهذه الجذبة هى مقام حق اليقين وقد مر بيانها فى المقدمة فراجع، وحقيقه إن شئت وقابل بينه وبين هذا الكلام تراه هو بعينه ويظهر لك غلط الموحدين بالتوحيد المعالى المدنسين بادناس الطبيعة المحجوبين بالحجب المنيعة وذلك لانهم ظنوا أن كل من عرف وحدة الوجود كان موحداً بل واصل الى أرقى درجات الكمال وليس كذلك لأن معرفة وحدة الوجود (١) لا تفيد صاحبها فائدة

(١) يظن بمض الناس الذين لا يعرفون مراد القوم من عبارة وحدة الوجود انهم يريدون منها ان الموجودات جميعها هى عين الحق تبارك وتعالى وهذا فى الحقيقة وهم باطل نشأ من عدم العام بمصطلحات القوم واذا واقعهم. ويعلم الله أن القوم بريئون من هذا الاعتقاد الفاسد لأنهم انما يعنون بوحدة

معتدا بها بل قد يقع بها في الزندقة ويهبط الى سجين الطبيعة اعنى المقام الاول الذى سمي النفس فيه بالامارة بل الذى يفيد السالك في سلوكه شهود وحدة الوجود لامعرفتها والشهود حالة اضطرارية حاصلة عند المجاهدة والمكابدة والرياضة المتعبة والذل والافتقار والمسكنة ولا تفيد هذه الحالة

الوجود أن الكائنات أثر الفاعل وأثر الفاعل لا يسبقه ولا يلحقه ولا يثنيه وأن الوجود الحق أى الوجود الذاتى لا يكون الا لله وحده وكل ما سواه خائما هو قائم به واقائم به قطعاً لا وجود له من ذاته . وهذا الاعتقاد بعينه هو مذهب أهل السنة والجماعة لأنهم يقولون أى أهل السنة أن ثم واجبا و ثم ممكننا . والواجب هو ما قام بذاته وأوجب الوجود لغيره ولم يفتقر في وجوده الى أحد سواه . والممكن هو ما ليس له من ذاته وجود ولا عدم ومن كان كذلك كانت الذاتية فيه لغيره وليست الذاتية في شيء الا لله . فالكائنات اذا بالنظر الى ذاتها عدم محض قال تعالى كل من عليها فان . وفان اسم فاعل . واسم الفاعل حقيقة في الحال مجازي في الاستقبال وليست هناك قرينة تصرف اللفظ عن معناه واذا كانت الكائنات معدومة في نفسها موجودة بغيرها كانت بمثابة الامواج البادية على صفحات الماء اذا نظرت اليها قلت امواج مختلفة المظاهر تبدو وتنتهى وان حققت النظر لم تجد لها شيئا يزاحم الماء ولا هي عينه من كل وجه ذلك لان الذاتية فيها للماء لا لها فهي مظاهره وشؤون البادية عنه والعائدة اليه وهكذا الامر والله المثل الاعلى على أن تأخذ من المثل معناه لاصورته . ثم اعتقاد المرء أو شهوده لهذه الحقيقة لا بد أن يكون معه كل الملازمة لاحكام الشرع الشريف وان كان العبد عاصيا لله في وقت هو يشعر فيه أن الله مطلع عليه فلا شك أن ذلك منتهى الزندقة والجرأة على الله ذلك لان المعصية الصادرة في وقت انت فيه غافل عن ربك غير المعصية البادية في وقت مشاهدة منك وحضور . والمعرفة وحدها غير كافية في نجاة المرء ان أهملت احكام الله وأوامره

السالك إلا إذا كان معها اتباع الشريعة فإن لم يكن معها اتباع الشريعة فهي
الزندقة المهلكة فمن أراد سلوك طريق المقربين الموصل إلى حق اليقين فعليه
بالتوبة أولاً لترتفع عن قلبه الحجب الظلمانية أعني حجب الذنوب ثم يسعى
على رفع الحجب النورانية للترقي في المقامات الآتية ذكرها في الأبواب التي
بعد هذا الباب إن شاء الله تعالى فإن قيل التوبة ثمرتها الندم والندم حال في
القلب والأحوال لا تدخل تحت الاختيار فكيف تكون التوبة واجبة مع
أنها ليست من الأحوال الاختيارية فنقول إن أسباب الندم تدخل تحت
الاختيار وهي سماع المواعظ وتعلم العلم النافع وذكر الله تعالى والتوجه إلى
الله ببعض العبادات ومعرفة ضرر الذنوب وهو كونها حجاباً وأعظم أسباب
الندم المداومة على الذكر بلا اله إلا الله وخلافه من الأسماء لأنه إذا داوم العبد
عليه أوقد الله تعالى في قلبه مصباحاً ملكوتياً فزول به ظلمة الباطن فيظهر
له ما فيه من النجاسات والآفات القاطعة له عن نيل السعادات فهو وإن كان
يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد شيئاً وأما مع تلاوة
الاسم فيحصل النور ويحصل الندم الذي هو التوبة وقد روى عن الشيخ عبد
القادر قدس الله سره أنه كان يأتيه الرجل فيشكو إليه ترك الصلاة أو التهاون
في أدائها فيقول له أكثر من ذكر لا اله إلا الله ويأتيه آخر فيشكو له الزنا
مثلاً أو شرب الخمر أو غيرها من القبائح فيأمره بالذكر فما جاء أحد يشتكى
من ترك مأمور أو فعل منهي إلا أمره بالذكر. واعلم أن التوبة هي الندم على
ما فات من الذنوب لقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وأما قوله والعزم على أن لا يعود
وتلافي الماضي فإنه لازم الندم لأن من ندم ندماً صحيحاً عزم على أن لا يعود
لأحالة وعلى تلافي ما مضى على قدر ما يمكنه وهذه التوبة هي توبة العوام

وهي مقبولة لاحماله وأما توبة الخواص فهي التوبة من جميع ما يشغل القلب عن الله عز وجل وأما توبة خواص الخواص فهي التوبة من الذنوب والاعفلة عن الحضور مع الله فهذه توبة الصديقين الأذكياء الذين علموا قيمة أنفسهم وعرفوا أن كل نفس من أنفسهم خير من الدنيا وما فيها .

وقد بينت التوبة بيانا أوضح من هذا البيان في شرحي لقصيدة الشيخ أبي العباس الجرائري وأوضحت جميع المسائل التي تتعلق بها فمن أرادها فليراجعها .

الباب الرابع

في بيان النفس الامارة وسيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وقبائنها وكيفية الخلاص منها والترقي عنها الى المقام الثاني الذي تكون النفس فيه لوامة

فسيرها الى الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الصدر وحالها الميل وواردها الشريعة وقد عرفت مما سبق أن النفوس السبعة نفس واحدة وتسمى باعتبار وصفاتها المتكثرة بالأسماء المختلفة من الامارة واللوامة والملممة والمطمئنة والرائية والمرضية والكاملة وقد عرفت أيضا أن هذه النفس هي النفس الناطقة وهي القاب الذي قال الله تعالى فيه إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب إذ ليس المراد من القلب قطعة اللحم كما عرفت وإنما هي اللطيفة الربانية لكنها لما تدنست بالميل إلى الطبيعة والركون إلى الشهوات وصادت النفس الشهوانية أعنى الروح الحيوانية انخرطت في سلك الحيوانات وتبدلت أو صافها الحميدة بأوصافهم

الذميمة وصارت لا تتميز عنهم إلا بالصورة وصار الشيطان من جندها ومن أوصافها الجهل والبخل والحرص والكبر والغضب والشهوة والغفلة والشره والحسد وسوء الخلق والخوض فيما لا يعنى من الكلام والاستهزاء والبغض والايذاء باليد واللسان وغير ذلك من القبايح التي مر ذكرها فهي نفس خبيثة وهي التي قال عنها سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء (١) وقال نبينا محمد ﷺ (أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) فسمى جهاد الكفار الجهاد الأصغر وسمى جهاد النفس الجهاد الأكبر وذلك لأنها واقعة في ظلمة الطبيعة فلا فرق لها بين الحق والباطل ولا تميز بين الخير والشر ولا يقدر الشيطان اللعين على الدخول على الإنسان إلا بواسطتها فكن أيها الأخ منها على حذر ولا تأمن لها ولا تساعدها ولا تنتصر لها إن أحد أذاها بل كن له معيناً عليها لأنك إذا تحققت عداوتها لزمك جميع ما ذكر ولزمك تقليل الطعام والشراب والنام لتضعف النفس الشهوانية الحيوانية لأنها إذا ضعفت هان خلاص هذه النفس الشريفة العزيزة العلوية التي سميت بالامارة من شبكتها وليكن ذكرك في هذا المقام لا إله إلا الله يمد لفظه لا وتحقيق همزة إلاه وفتح هائه فتحة خفيفة وتسكين آخر لفظ الجلالة ولا تفصل بين الهاء وقولك إلا الله وإياك أن تتهاون في تحقيق همزة له فإنك إن لم تحققها قلبت ياء وصار ذكرك لا يلاه إلا الله وهذه ليست كلمة التوحيد فلا ثواب بتكرارها ولا تأثير وغالب الذاكرين واقعون في هذه

(١) هذا قول زليخة امرأة عزيز وليس هو قول نبي الله يوسف عليه السلام .

الورطة ولا يدرون فكن على حذر وأكثر من هذا الذكر في القيام والتقعود والاضطجاع في جميع الأوقات وذلك بالجهر لأن التأثير المطلوب من هذا الاسم لا يحصل إلا بالكثرة والاجهار آناء الليل وآناء النهار حتى تصل إلى مطلوبك قال الله تعالى في الحديث القدسي لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي وقال أيضا أنا جليس من ذكرني وأنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه ومعنى مجالسة الله تعالى تقرب رحمة وعنايته ومدده وفيضه وفتحه ونور أسمائه وصفاته من عبده بحيث إذا صدق في ذكره عمر قلبه بتلك الأسرار وملاء بهذه الأنوار وقال النبي عليه الصلاة والسلام (لا إله إلا الله أفضل الذكر وهي أفضل الحسنات أسعد الناس بشفاعتي من قالها خالصا من قلبه ما من عبد قالها ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق) كررها ثلاثا وقال عليه الصلاة والسلام (جددوا إيمانكم قيل وكيف تجدد إيماننا يا رسول الله قال أكثروا من قول لا إله إلا الله فإن قولها لا يترك ذنبا ولا يسبقها عمل ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه) وفي رواية ولا يشبهها عمل وقال الله تعالى في الحديث القدسي (أنا عند ظن عبدي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) قال عليه الصلاة والسلام (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من أنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله وقال أيضا مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر مثل الحي والميت وقال عليه الصلاة والسلام لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)

وقال عليه الصلاة والسلام (ما عمل آدمي عملا أنجى له من ذكر الله قالوا
ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه
حتى ينقطع ثلاث مرات) وقال أيضا (لو أن رجلا في حجره دراهم يقسمها
وأخريذ كر الله لكان ذا كبر الله أنضل وقال إذا مررتم برياض الجنة
فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يا رسول الله قال حلق الذكر) وقال صلى الله عليه وسلم
(ما من قوم جالسوا مجلسا وتفرقوا منه ولم يذكروا الله فيه الا كأنما تفرقوا
عن جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام
(ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها) وقال
عليه الصلاة والسلام (أكثر واذا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقال عليه
الصلاة والسلام من صلى الصبح في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس
ثم صلى ركعتين كانت كاجر حجة وعمرة تامة تامة) وفي رواية أخرى
(انقلب بأجر حجة وعمرة وقال أيضا لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى
من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعين من ولد
إسماعيل وقال أيضا لأن اذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة النحر الى طلوع
الشمس أحب الى من الدنيا وما فيها ولأن اذكر الله مع قوم بعد صلاة
العصر انى أن تغرب الشمس خير لى من الدنيا وما فيها قال عليه الصلاة والسلام إن
الله تعالى أمر بى أن يأمر بنى إسرائيل بخمس كلمات منها ذكر الله فان مثل
ذلك كمثله رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى إذا أتى حصينا فأحرز نفسه
منهم كذا لك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى صدق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فادخل يا طالع الخلاص من الأعداء حصن مولاك وهو قول لا إله
إلا الله وخاص نفسك الشريفة من سجن الطبيعة لتتال المقامات الرفيعة .
وقال أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره لا يزال المريد يذكر لا اله الا

الله بلسانه حتى ينتقل معناها الى جنانه يعنى لا يزال المريد يقول لا إله إلا الله من غير أن يلتذ بمعناها وهو توحيد الافعال حتى ينكشف عن قلبه الحجب الظلمانية الحاصلة من الذنوب الماضية فيشاهد بعين البصيرة أن لا محرك ولا مسكن ولا معطى ولا مانع ولا ضار ولا نافع الا الله شهود ذرق و حال لا شهود اعتقاد والشهود الذوق لا يعرفه الا من ذاقه ومن علاماته أنك ترى نفسك لا تنكره مخلوقا أصلا ولا يحصل منك إيذاء لمسلم ولا لسكافر ولا لحيوان ولا لعدوك ومن آثاره الاتصاف بالدلة والمسكنة والسرور الدائم بالقلب والبشاشة في الوجه وغير ذلك من المحاسن الشرعية فداوم أيها السالك مادامت فيك أوصاف النفس الامارة هذا الذكر لتظهر على أول السعادات وهي توحيد الافعال واذا نفيت بقولك لا إله فاضمر في قلبك كل معبود غير الله تعالى وليسكن قول الله بقوة وشدة كأنك تضرب به الجانب الايسر من صدرك بحضور وخشوع ومذلة وغمض عينيك وألق سمعك الى ذكرك ولازم الطهارة من الحدث والخبث وإيّاك وأكل الحرام لان جميع القبائح منشؤها وصدورها من البطن المملوء من الحلال فكيف حال من ملاً بطنه من الحرام ولا بذلك من معرفة ما تحتاج اليه من الفقه مثل طهارة الماء ومعرفة الوضوء ومعرفة ازالة النجاسة وأركان الصلاة وغير ذلك مما لا بد منه وكذلك معرفة شيء من العقائد كمعرفة الواجب وصفاته القديمة وما يجب له تعالى وما يمتنع وما يجوز كما ذكره العارفون وأجمعوا على أن العبادة من غير معرفة لايزاد صاحبها الا بعدا ولا تشتغل بغير ما ذكر من العلوم الا بعد تزكية النفس وتصفية القلب لانك قبل ذلك كثير الاحتياج إلى خلاص نفسك من سجن الطبيعة ولصقل مرآة قلبك لينزل

عنها الرين المانع لها من ادراك حقائق الأشياء وعن فهم دقائق العلوم لأن مرآتك وأنت في هذا المقام قد علاها صدا الكبر والطمع والحسد والعجب والبغض والغضب والشره والشهوة والحقد وغير ذلك مما تعرفه من نفسك فالواجب الأهم في هذا المقام الخلاص من هذه الخبائث التي منعت القلوب من مطالعة الغيوب بالذكر القوى وتقليل الطعام والنام لتضييق مسالك الشيطان ويقرب القلب من الاوطان بشهود شمس العيان وظهور حقيقة الايمان لأن هذا المقام أعنى الأول الذى تسمى النفس فيه بالامارة هو المشار اليه بسجين وأسفل السافلين والخلاص منه أهم من غيره وإنما أمر المشايخ بالذكر الجهر لتيقظ الأعضاء من الغفلة التي هي فيها فعليك بالذكر الكثير القوى والوقوف على أبواب الشريعة ومحاسبة النفس كل ساعة وتخويفها بالموت وعذاب القبر وما بعده من الأهوال وجہنم وعذابها وحياتها وعقاربها لأن في هذا المقام تترادف عليك حالتان خوف ورجاء ثم بعد نقلك من هذا المقام يتبدل خوفك بالقبض ورجاؤك بالبسط ثم يتبدل القبض بالخشية والبسط بالانس فاذا وصلت الى درجات الكمال يتبدل القبض بالجلال والبسط بالجمال ففي هذا المقام أعنى الأول الذى تسمى النفس فيه بالامارة يجب عليك تذكر أسباب الخوف لأنه أنفع لك من الرجاء الا اذا وصلك الخوف الى درجة القنوط فيجب عليك حينئذ تذكر أسباب الرجاء وسعة رحمة الله تعالى وعفوه وكرمه عليك (١).

(١) المراد أن لا يحملك الخوف على القنوط من رحمة . ولا يحملك الرجاء على الخروج عن طاعته . فان اليأس من روح الله كفران . والخروج من طاعة الله حرمان ولا تتم لك السلامة والسعادة حتى تنبغى بين ذلك قوما

بالتذلل والخضوع والتضرع له تعالى واطلب الخلاص منه بلطفه وإحسانه
وابتهل إليه عز وجل ولا تمل من الدعاء ولا تقل أن الله تعالى ما تقبل مني لأن
هذا مما يقطع المريد عن الحق قال النبي ﷺ (الدعاء والعبادة ثم تلا وقال
ربكم ادعوني أستجب لكم وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون
جحيمهم داخرين) وقال النبي ﷺ (الدعاء مخ العبادة) وقال النبي ﷺ (من
فتح له في الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة) وقال النبي ﷺ لا يرد
القضاء الا الدعاء) وقال رسول الله ﷺ (الدعاء بر القضاء وإن البر يزيد
في الرزق وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب الذي يصيبه) وقال النبي ﷺ (الدعاء
جند من أجناد الله مجند يرد القضاء يعد أن يبرم وقال أيضا الدعاء يرد البلاء)
وقال عليه الصلاة والسلام (لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل وما
لم ينزل وأن البلاء لينزل فيتلقيه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة) وقال النبي ﷺ
(ليس شيء أكرم على الله من الدعاء وقال من لم يسأل الله يغضب عليه
وقال من لم يدع الله يغضب عليه) وقال عليه الصلاة والسلام (لا تعجزوا
في الدعاء وأنه لن يهلك مع الدعاء أحد) وقال عليه الصلاة والسلام (من سره
أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في الرخاء وقال
عليه الصلاة والسلام) الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات
والارض) وقال عليه الصلاة والسلام (ما من مؤمن مسلم ينصب وجهه
لله في مسألة إلا أعطاه إياها إما يعجلها له وإما أن يدخرها) فانظر ما أكرم الانسان
كيف جعل دعاءه وتوجهه يؤثر في القضاء المبرم ويرد البلاء وينفع مما نزل
وما لم ينزل من المصائب والبلايا وكيف كان دعائه كريما على الله حتى
أنه اذا لم يدعه يغضب عليه كيف جعل دعاءه مخ العبادة كل ذلك محض

تفضل ولطفوا كرام منه لهذا النوع الانساني فهل يليق بك أن تعرض عن
أكرمك هذا الا كرام وتقبل على أعدائه وهم الشيطان والدنيا وشهواتها وهل
ترضى أن تمت كما مقتوا أو تبعوا كما بعدوا بعد أن عرفت أن استعدادك خير
الاستعدادات وأنت قابل للخلافة الكبرى والسيادة العظمى وقد كان أبوك آدم
عليه السلام قبلة الملائكة ومعلمهم الأسماء وخليفة الله في أرضه فهل يساوى هذا
الذي أقبالت عليه عشر معشار ما أدبرت عنه فانتبه يا حبيبي من غفلتك التي أهلكتك
وأنزلت مقدارك وحقرتك وأقبل على من لاغنى لك عنه بمعاملات الاحسان
قبل أن تساقى اليه بسلاسل الامتحان وقد قال لك عبدى إذا تقربت منى شبرا
تقربت منك ذراعا وإن تقربت منى ذراعا تقربت منك باعا وإن أتيتنى تمشى
أتيتك هرولة (فترك التواني وأعرض عما يشغلك عن مولائك واستغن بالقناعة
بما فى يدك كثيرا كان أو قليلا ودع اللذات الفانية لأهلها واشتغل بما يرضيك
ولا تسوف التوبة والاقبال على الله تعالى فانك لا تدري ما بقى من عمرك قال
النبي ﷺ (دع ما يريبك الى ما لا يريبك) فانك لن تجد فقد شيء تركته لله
وقال عليه الصلاة والسلام (دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق
ما يكفيه أخذ حتفه وهو لا يشعر) يعنى من سعى وانهمك فى طلب الدنيا
فوق ما يكفيه سعى فى هلاك نفسه والحال أنه لا يشعر بالهلاك ويجب عليك
أيها الأخ وأنت فى هذا المقام الضيق القبيح أن يكون دعاؤك وتوجهك الى
الخلاص من ضيق النفس الى فضاء الروح وأن يكون همك ومطالبك التخلي
عن الأوصاف الذميمة التى ذكرناها والتحلل باضادها وهى الصفات الحميدة
وتبديل أخلاقك القبيحة بالأخلاق الحميدة فتبدل ما فىك من الكذب بالصدق
وما فىك من الكبر بالتواضع والبغض بالمحبة والرياء بالاخلاص والشهرة

بالخمول فاذا كان لك صيت بين الناس فالبس ثياب الخمول حتى لا يبقى أحد
يذكرك بمدح ولا ذم قال على رضى الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك
لتذكر واكتم واصمت تسلم وتسر الابرار وتغيظ الفجار وأعلم أنك إذا
أشتغلت في خلاص نفسك من هذه الآفات وبدلت أوصافها الذميمة بأحسن
صفات حميده شاهدت بعض العجائب المسكونة والاسرار المخزونة في
صدقة البشرية (١) وتفهم معنى قول المحقق رضى الله عنه .

دواؤك فيك وما تبصر دواؤك منك وما تشعر
وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

الباب الخامس

في بيان النفس اللوامة وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها
وصفاتها وبيان العلاج في الخلاص منها والترقي عنها الى المقام الثالث

أعني المقام الذى تكون النفس فيه مأهمة فسيرها إلى الله وعالمها عالم
البرزخ ومحلها القلب وجالها المحبة وواردها الطينة وصفاتها اللوم والكبر
والعجب والاعتراض على الخلق والرياء الخفى وحب الشهرة والرياسة قدييق
ممنها بعض أوصاف النفس الأمارة لكنهما مع هذه الأوصاف ترى الحق حقا
وترى الباطل باطلا وتعلم أن هذه الصفات مذمومة ولا تقدر على الخلاص
منها ولها رغبة في المجاهدة وموافقة الشرع ولها أعمال صالحة من قيام وصيام
وصدقة وغير ذلك من أفعال البر لكن يدخل عليها العجب والرياء الخفى فيجب على
صاحب هذه النفس أن يطالع الناس على ما هو عليه من الأعمال الصالحة مع أنه يخفيها

(١) الانسان خزانة الله أودعه حقائق كل شيء بالقوة وعنه يبرز كل
شيء بالفعل فهو الجامع بحقيقته لجميع ما فصل في الاكوان .

عنهم ولا يظهرهم عليها ولا يعمل لهم بل عمله لله تعالى الا أنه يجب أن
يحمد ويشن عليه من جهة أعماله ويكره هذه الخصلة ولا يمكنه قلعها من قلبه
بالكلية لأنه لو قلعها بالكلية لكان مخلصا بلا خطر والحال أن المخلصين على
خطر عظيم قال النبي ﷺ (الناس هلكي الا العاملون والعاملون هلكي الا
العاملون والعاملون هلكي الا المخلصون) والمخلصون على خطر عظيم وذلك
لأن المخلص يجب أن يكون معروفا بالاخلاص وهذا هو الرياء الخفي لأن
الرياء الجلي هو العمل لأجل الناس وهو الشرك الخفي المذموم بالكلية وأعلم
أنك إذا كنت متصفا بهذه الصفات أنت في المقام الثاني ويقال لنفسك لو أمة
وهو مقام لا يسلم صاحبه من الخطر ولو أخذ في أعماله كما مر بيانه وهو
مقام ثان بالنسبة إلى سلوك المقرين الطالبين الفناء عن نفوسهم والبقاء بربهم
الذين أمروا بالموت قبل انقضاء آجالهم وقال لهم سيدهم موتوا قبل أن
تموتوا فسمعوا على موت نفوسهم وأما بالنسبة إلى الأبرار أهل اليمين فهو آخر
منازلهم وأعلى مقاماتهم ولذلك قيل حسنات الأبرار سيئات المقرين لأن
المقرين لا يقفون عند هذا المقام الثاني بل يترقون عنه إلى غيره إلى أن يصلوا
إلى المقام السابع فيكون لهم بعد هذا المقام خمس مقامات يأتي بيانها وتفصيل
أحوالها فيما يرد عليك في الأبواب التي بعد هذا الباب وإنما لم يقف المقرين
في هذا المقام لما فيه من الخطر العظيم والتعب المقيم لأنه أعلى درجات الاخلاص
والمخلصون على خطر ولا يمكن الخلاص من هذا الخطر الا بالفناء عن شهود
الاخلاص بشهود أن المحرك والمسكن هو الله شهود ذوق وهذا الشهود
متوقف على سلوك ط. بق المقرين ولا يشم الأبرار له راحة لأن المربين

تيقنوا بالدليل والكشف أن الله تعالى شرع العبادات وجعلها أبوابا يدخل منها من يشاء إلى حضرة فدخلوا منها عليه متمثلين بين يديه ناظرين ببصائرهم إليه غير ناظرين إليها ولا معتمدين عليها ولا معجبين بها شاهدين بأن المنة لله عليهم حيث فتح لهم أبواب العبادات ومكنهم من الدخول وأهلهم للقبول فمن كانت هذه أحواله لا يحتاج إلى الإخلاص بل لا يخطر بباله لأنه لا يرى لنفسه عملا حتى يخلص فيه ولا يرى لغير الله فعلا حتى يضرربه بخلاف السادة الأبرار فانهم لم يصلوا إلى هذه الشهود فنظروا أنهم قد أوجدوا أعمالهم فطوبوا بالإخلاص ولم يشهدوا أن الله تعالى خالق الأفعال كلها فضرروا من بعضها ووقعوا في العناء والتعب وصار أحدهم لو دخل جحر ضب لقيض الله له من يؤذيه وذلك لما فيهم من البشرية المقتضية للعجب والتكبر والحقده والحسد وسوء الخلق والعداوة والبغضاء والانهماك في طاب الرزق وما أشبه ذلك وهذه الأشياء كلها مقتضيات للتعب والغم وضيق الصدر ولا بد من مثال يوضح لك الفرق بين الأبرار والمقربين وبين لك تعب هؤلاء وراحة هؤلاء وذلك كشجرة خبيثة عظيمة الجثة كثيرة الأغصان كل غصن منها يشمر نوعا من السم القاتل فجاء أناس واشتغلوا في قطع تلك الأغصان ولم يتعرضوا لقطع الشجرة من أصلها ولا لقطع الماء عنها لتيبس ويتخلصوا منها ولم يمكنهم الخلاص من السموم بالسكية لأنهم كلها قطعوا شيئا نبت غيره لبقاء أصل الشجرة وجاء أناس آخرون فقطعوا الماء عن الشجرة فضحفت أغصانها فلم تشمر شيئا من السموم فتخلصوا منها وأراحوا أنفسهم عن الاشتغال بقطع الأغصان الكثيرة التي لم يمكن الخلاص منها بالسكية لأنها كلها قطعت نبت غيرها فالشجرة مثال لبطن الإنسان والأغصان مثال للصفات الذميمة مثل الكبر

والحسد والعجب وأمثال ذلك مما ذكر آنفا والثمرة مثال لما يحصل من هذه الصفات في الخارج من الآثار فالأبرار لما علموا بالدليل أن هذه الصفات مهلكة للإنسان في الدنيا وفي الآخرة سعوا في إزالتها شيئا فشيئا فلم يقدرُوا على الخلاص منها بالسكينة بل إذا خلاصوا من صفة في يوم اتصفوا بها في يوم آخر ولم يزالوا كذلك حتى يموتوا لأنهم يملأون بطونهم فتقوى بشريتهم ويكثر دمعهم ويتكثر الشيطان منهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) وقال النبي عليه الصلاة والسلام (إن الشيطان ليجرى من أحدكم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع) ولا شك أن من تمكن منه الشيطان وجرى مجرى الدم في العروق يتلبس بالصفات الذميمة ولا يتدر على إزالة شيء منها بالسكينة وإن زال في بعض الاوقات بسبب خوف الحقة من سماع شيء من أحوال القبر والملوك والزبانية والمحشر فإذا ذهب عنه الخوف رجعت الصفة التي كانت زائلة وأما المقربون فانهم لما علموا بالدليل والتجربة أن البطن هو منبع الفساد والصفات الذميمة سعوا على الخلاص من شره بتقاييل الطعام وتخلصوا من جميع الصفات الذميمة فتخلقوا بالأوصاف الحميدة وذلك لأنهم لما قل أكلهم قل شربهم فقل نرهم فقل كلامهم لأن الجوعان السهران لا يشتهى الكلام فاعتزلوا عن الناس فلم يبق في قلوبهم شيء من الصفات الذميمة كالعجب والكبر والحسد لأنهم محوها من أصلها حتى أنهم لم يخطر ببالهم شيء منها فبذلك تراهم خالين من الهم والغم لا تفارقهم راحة القلب وجميع الخلق يحبونهم فلا يذنون من أحد لأنهم لم يصدر منهم إلا أفعال الخير ومع هذا لا يخلون من الحاسدين لكن لا يضرهم حسدهم فكلامهم الحاسدون أن يؤذونهم نجاها من كيدهم وألقى كيدهم في نحرهم حتى

أنهم لا يدرون أن الحاسدين قد سعوا في ائذائهم فالله تعالى كفاهم هموم الدنيا والآخرة فان قلت هذا الكلام يناfi قوله (لو دخل المؤمن في حجر ضب لقيض الله له فيه من يؤذيه) وقوله صلى الله عليه وسلم (الدنيا سجن المؤمن) وأمثال هذا الحديث فالجواب أن هذا مثال مقول في حق الأبرار وقد عرفت حالهم وهم أناس مقبولون عند الله تعالى وهم المتقون إلا أنهم لم يتخلصوا من جميع أكار النفوس فلا يخون من تعب في الدنيا وقد وعدهم الله تعالى أنه يعطيهم الثواب الجزيل في الآخرة (وأما المقربون) فهم أفراد قليلون استغرقوا في شهود الحق فنسوا الخلق ولم يخطر ببالهم لذات الدنيا ولا نعيم الآخرة فمن أين الأذى والسجن والأسر فان أردت أيها الأخ الانتظام في سالكهم والخلاص من جميع الآلام والراحة على الدوام فاسلك مسالكهم واقف أثرهم بالترقي من مقام إلى مقام حتى تصل إلى المقام السابع ففيه ترى العجائب والغرائب بل في كل مقام تشاهد ما يسرك ويرغبك في السلوك والترقي يكون بالمجاهدة والاشتغال بالاسم ففي كل مقام تشتغل باسم مخصوص بذلك المقام وكلما أكثرت من الاشتغال بالاسم قرب عليك وكلما توانيت وأهملت بعد عليك الطريق فلا تلومن إلا نفسك ولابد من المجاهدة وحقيقتها ترك العادات والعاهات لا تكاد تنحصر بالعد لكن جعل الأشياء للطريق أركاناً وهي ترك بعض العادات فلا بد منها وهي ستة تقليل الطعام وتقليل المنام وتقليل الكلام والاعتزال عن الانام والذكر المدام والفكر التمام فهذه ستة البعض منها يعينك على البعض الآخر وبقى عادات آخر لازم تركها أيضاً مثل تغيير الجلاس وتبديل الأنفاس وترك الجلاس وما أشبه ذلك لكن هذه الستة المذكورة أهم من غيرها لأن السالك إذا

فعلها بصدق فهي تنقله إلى ترك جميع العادات والمطلوب من هذه الأشياء الاعتدال والحالة الوسطى التي بين الإفراط والتفريط ولذلك قالوا تقليل الطعام ولم يقولوا ترك الطعام فالنافع في هذا الطريق أن لا يأكل حتى يجوع وإذا أكل لم يشبع فعلى هذا ينبغي أن يترك عادة الغداء والعشاء فإن كان في محل العشاء شبعانا فلا يتعشى وكذلك الغداء وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغذ والمطلوب ترك ألوان الطعام أيضا وأن لا تجمع بين إدامين وقد تعسر الحالة المذكورة أعنى الحالة الوسطى على المبتدأ فلا تطاوعه نفسه أن يفعل ما ذكرناه فيجب عليه حينئذ ظلمها والتعدي عليها حتى ترضى بالذي ذكرناه وذلك بأن يقلل الأكل بالكفاية ويحملها مالا تطيقه من الأعمال وإن كان هذا خارج عن الأنصاف إلا أنه يفعل بها ذلك لأجل إصلاحها ورجوعها للحق ولأكل الشرعي .

قال سيدي عمر بن الفارض قدس الله سره مشيرا إلى هذا المقام ونفسى كانت لوامة متى * أطعها عصت أو أعصى كانت مطيعتى فأوردتها الموت أيسر بعضه * وأتعبتها كى ما تكون مريحتى فعادت ومهما حملتها تحمات * منى وإن خففت عنها تاذق واشتغل فى هذا المقام بالاسم وهو الله الله وأكثر منه بسكون آخره أعنى الهاء وكذا تفعل فى جميع الاسماء فتسكن آخرها هكذا قال المحققون وأكثر منه فإنه لا ينفع ولا يظهر العجائب إلا الإكثار وذلك آناء الليل وآناء النهار فى القيام والقعود والاضطجاع واجعل لك أوقاتا تجالس فيها متوجها إلى القبلة إن أمكنك وغمض عينيك واذكر هذا الاسم الأعظم بقوة وشدة

ورفع صوت وارفع رأسك إلى فوق واضرب به على صدرك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا بخلاف الاسم الأول فإنك تلتفت به من اليمين إلى اليسار وحقق همزة الله وسكن الهاء ومد الألف التي قبل الهاء وإياك أن تفضي بك العجلة إلى أن تقول هلا هلا ولا يكون ذلك إلا إذا لم تحقق الهمزة فإن حققها لا يصير شيء من ذلك إذا ذكرت بالجهر والقوة الشديدة فتقل الخواطر وهذا الاسم نار تحرق جميع الخواطر والوسواس فلا تبالي بالخواطر إن كنت مشغولا بذكرك لأنه لا يمكنك الخلاص منها بالسرعة لأن قلبك مرآة صور الخلق وأفعالهم ومحاسنهم وقبايحهم وحركاتهم وسكناتهم وكلامهم وأنت تكره ذلك وتدفعه ولا يندفع إلا إذا أعرضت عن جميع الخلق فلا ترى لهم صورة ولا تسمع لهم كلاما وعن جميع الذات فلا تشم منها طعما ولا تلبس منها شيئا فلا يبقى في خيالك شيء وإذا لم تعرض عما ذكرت لك فأنت متلبس بهذه الخواطر والوسواس ومعذب بها ومحجوب بالخلق عن الحق فإن كنت متعطشا إلى زلال الوصال فاترك الخلق وجميع الآلات وهذا هو المجاهدة التي تنتج المشاهدة وأعلم أن هذا الطريق طريق جد واجتهاد فمن جد واجتهد نال كل ما يتمناه ونال فوق ما يتمناه ومن تواني وأهمل فهو مقطوع عن هذا الطريق لأن القواطع كثيرة وأعظم القواطع الركون إلى الخلق والميل اليهم والجلوس معهم ومن لم يقطع القواطع لم يصل إلى المطلوب لأن القصد مخالفة ما هم عليه فكيف يأمل وصلا من خالطهم ووافقهم على ما هم عليه من كلام ومزاح وضحك وغير ذلك مما تشتمل عليه مجالسهم فإن أردت المقامات العلية فاترك الخلق بالسكينة وانس جميع أصحابك وأهلك واشتغل بربك

واستوحش من جميع الناس حتى يقال أنك مجنون فتستأنس حينئذ بالله تعالى وترى العجائب إن شاء الله تعالى وإن لم تفعل ما سمعت مضت أوقاتك في العناء والتعب ولم تنل من مطلوبك شيئاً فجد واجتهد واستخرج ما بقي فيك من آثار النفس الأمارة من الكبر والحسد والعداوة والعجب والرياء وسوء الظن في عباد الله والاعتراض عليهم بالباطن والظاهر ولا تخلص من هذه الأشياء بالكلية إلا إذا تجنبت الخلق وأعرضت بظاهرك وباطنك عنهم حتى أنه لا يلزمك في هذا المقام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن الأمر بالمعروف ينبغي أن يكون باطناً للأمر وتواضع وأنت في هذا المقام لا تقدر على ذلك ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف) لأن الائم في حزنك خلاص نفسك من الهلاك الأبدي وتنقية قلبك من الآفات المانعة له عن مشاهدة الحق لأن القلب محل نظر الحق فتصفيته فرض عين ليشاهده ويخاطبه بغير حاسة واجعل دعاك قبل تصفية قلبك يا مصرف القلوب صرف قلبي إلى طاعتك وبعد تصفيته يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وذلك عند طلوع الشمس وعند الغروب ومعنى تقلب الله تعالى القلوب هو تقلبها إياهم من الغفلة إلى التذكيرة وبالعكس ومن الضحك إلى البكاء وبالعكس ومن الخوف إلى الأمن ومن انقبض إلى البسط وأمثال ذلك والمراد من هذا الدعاء صدق الاستقامة على هذا الطريق وفي هذا المقام أعني المقام الثاني يظهر لك سر قوله صلى الله عليه وسلم (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن) ظهوراً ذوقياً ينسبك ألم المجاهدة ويرغبك في السلوك ويكرهك في كل ما سوى الله تعالى وذلك إذا فعلت

ما سمعته وأن لم تفعل فما ترى إلا التعب والعناء فإن ظهر لك شيء من هذا السر بغير مجاهدة فهو ادعاء من النفس بما ليس فيها من الكمال لأن من شأنها أنها متى سمعت بكلام ادعته قال العارف بالله تعالى .

فجاهد تشاهد فيك منك وراء ما وصفت سكونا عن وجود سكينتي

فالمجاهدة لا تحصل إلا بالمجاهدة فجاهد نفسك واستخرج ما فيك من الكد ونزو لا ترض بالسفساف ولقاقة اللسان لأن من أدعى بما ليس فيه كذبه شواهد الامتحان لأنك كل ما حصلت من هذا الطريق من الاسرار عائد عليك وكل ما حصل عليك من الغرور والتلبس والتزوير فوخامته عليك فاعدق في الطلب والمجاهدة تنكشف لك عجائب القلب وأسراره وتدخل في عالم المثال وهو عالم غير هذا العالم الذي أنت فيه ولا يعرفه إلا من كان في مقام القاب وهو نهاية المقام الثاني من المقامات السبعة المذكورة في هذا الكتاب وهو أول مقام بالمقربين وفيه يرى السالك الأمور التي لا تدرك بالحواس الخمس لأن القلب أي قلب المؤمن عرش الله وبيت الله بمعنى أنه محل بأن توضع فيه أسراره تعالى وتقدس فسكن تابعا للشرية وهي أقوال النبي ﷺ (متخلقا بالطريقة وهي أفعاله عليه الصلاة والسلام من الجوع الكثير والنوم القليل والصمت) لأنه كان ﷺ كثير الصمت وإذا تكلم فلا يتكلم إلا بخير) وروى أحمد بن حنبل في مسنده عن جابر بن سمرة أنه كان ﷺ (طويل الصمت قليل الضحك) وروى أيضا عن أبي الدرداء أنه كان ﷺ (لا يحدث حديثا إلا تبسم) فاتبع أخلاقه وأحواله وأعمل بها فان فعلت تفجرت ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك وكنت سالكا طريق المقربين وبهذا تزيد على الأبرار ومن هنا تفارقهم مسافرا إلى حضرة الجبار وأول

منازلك في سفرك هذا عالم المثال وفيه تجتمع الاشباح التي هي صور بين كثافة الاجسام ولطافة الأرواح وترى ما يسرك وما يقوى همك على السلوك ويزيد شوقك وتشتعل نار المحبة في قلبك وتنقطع عنك جميع الشهوات النفسانية والاهواء الشيطانية وإن بقي عليك شهوات روحانية فلا تضررك في هذا المقام لأن المطلوب منك حينئذ قطع الشهوات النفسانية التي هي ظلمات بالنسبة إلى ما بعدها وأعلم أن الدخول في عالم المثال لا يكون الا للسالكين وهو حالة متوسطة بين النوم واليقظة وإذا لم يكن كذلك فهو منام لا يعتد به ولا يعتنى به ولما كانت هذه الحالة بين النوم واليقظة وكان السالك في البداية يغلب عليه جانب النوم على اليقظة ثم يترقى حتى يصير جانب اليقظة أغلب فيرى حينئذ بعض الروحانيين فيظن أنه رآهم يقظة والحق أنه رآهم في هذه الحالة الا أن همته لما كانت عالية كانت هذه الحالة أقرب الى اليقظة من النوم فظن أنه مستيقظ وفي هذه الحالة دخل جبريل عليه السلام على الصحابة رضوان الله عليهم بصورة الاعرابي وفيها ترى روحانية النبي ﷺ فتسمى تلك الحالة مشافهة فيقال أن فلانا رأى النبي ﷺ مشافهة ولا بد من ذهول يعتري السالك حتى يكشف له عن ذلك قال بعض العارفين ولقد اجتمعت مع رجل من السالكين الصادقين فحلف لي أنه رأى النبي ﷺ بعين رأسه ولم يكن نائماً أصلاً فقلت له كيف رأيته فقال لي كنت في المكان الفلاني وكان معي أخي فلان وأخي فلان فاقبل علينا المصطفى ﷺ وكلمني وكلمته بلساني ورأيت به عيني فقلت له فهل رأى المصطفى أخوك فلان وفلان فقال لا فقلت له لو كانت الرؤيا بعين رأسك لرآه كل من كان في مجلسك فتمالك جزاك الله عن كل خير

كنت تأثها فدللتني على الطريق فأوضح لي هذه المسئلة حتى يزول عني
ما اعتقده فبينت له الأمر كما تقرر آنفا فلم يبق عنده شبهة في أن القطة
الصرفة لا يرى فيها الا ماهو في عالم الملك وأما ماهو في عالم الملكوت
الذى عالم المثال شعبة منه فلا يرى الا بعين البصيرة وان كانت العنان
مفتوحتان وفي هذا العالم تسكون الفهوانية وهى رؤية الحق تعالى في عالم
المثال وقد يلبس الشيطان على السالك هذا الأمر فيظن أنه رأى الحق
والحال أنه رأى شيطانه واسكن إن أعقبت هذه الرؤية علوما وععارفا
واتباعا للشريعة وتخلقا بالطريقة فهى اكرام من الله لعبده وهى الفهوانية
الصحيحية وان أعقبت زندقة وشيطنة واتباع هوى فهو شيطان جاء ليقطع
السالك عن الطريق قال النبى ﷺ (رأيت ربى تبارك وتعالى فى أحسن
صورة فقال لى فيما يختصم الملائكة على يا محمد قلت أنت أعلم أى ربى مرتين
قال فوضع كفه بين كفتى فوجدت برد ما بين ثدى فقلت ما فى السموات
والأرض ثم تلا عليه الصلاة والسلام هذه (الآية وكذلك نرى ابراهيم
ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) ثم قال فيما يخصهم الملائكة
الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت اشى على الاقدام
إلى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء
أما كينه فى المكاره من يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير ويكون من خطيئته
كيوم ولدت أمه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وأن يقوم
بالليل والناس نيام قال قل اللهم إني أسالك الطيبات وترك المتكرات
وفعل الخيرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب على وإذا
أردت فتنة فى قوم فتوفى غير مفتون) فهذه هى الفهوانية الصحيحة

لأنها أعقبت هذه العلوم وأما غيرها فهو أمور شيطانية لأن المطلوب من هذه الطريقة العلوم والمعارف الالهية التي هي نتائج تزكية النفس وتصفية القلب فلكل واحد من تصفية القلب وتزكية النفس علامة وعلامة تصفية القلب حصول الالهامات والعلوم الربانية الموافقة للكتاب والسنة وعلامة تزكية النفس خلاصتها من الغضب والشكر والحسد والعجب والكراهة لبعض الخلق والميل للبعض الآخر ومن الشهوة فيكون الخلق كلهم عنده على السوية لا يحبهم محبة تميله اليهم فينقطع عن الله تعالى ولا يكرههم كراهة تغير باطنه عليهم فتشغله عن الله تعالى وأكبر المهمات التي يفتقر اليها السالك في هذا المقام قطع الشهوة وهي شهوة الأكل وشهوة الملبس فحتى رأى في نفسه شهوة لبعض الماء كل دون البعض أو لبعض الملبس دون البعض فيجب عليه المجاهدة وقلة الأكل حتى يتساوى عنده جميع المآكل وجميع الملابس فحينئذ يقال لنفسه أنها قد تزكت وخلص من شرها وهذا أول درجات السكال لأن للسكال درجات أخر لا ينالها الطالب إلا إذا قطع شهوات الماء كل والملبس ووصل الى أول درجات السكال وما لقلبه الى عالم القدس وأعرضت نفسه عن جميع اللذات ومتى كان الرجل مائلا للشهوات ولم يتداركها بالرياضات فهو ليس من السالكين طريق الحق أعنى طريق المقربين وإذا ادعاه فهو شيطان ضال مضل ينبغي على السالكين اجتنابه لأنه يخشى عليهم من اضلاله لأن هذا "طريق عبارة عن مخالفة جميع العادات التي ابتلى الناس بها فمن لم يخرق من نفسه العادات لم يخرقه والسالك الصادق إذا خالف العادات فمدخالف الناس في جميع أوضاعهم فيزعمون أنه مجنون ولا يبالي بذلك لأنه لا تنال المطالب العلية الا إذا

تركزت الخلق تركة المجانين ومتى كان في قلبك أدنى ميل ولو لبعضهم فانت مقطوع
بذلك الميل فاذا أردت الوصول فاقطع عنك كل ما يقطعك عن محبوبك
وأعرض عن جميع ما سوى الله تعالى ولا تجالس إنسانا ولو قال لك أنا
الحضر عليه السلام لأن العارفين رضى الله عنهم شهروا الحكمة في القلب
بشمعة في بيت له خمسة أبواب فان سدت الأبواب بقية الشمعة مشعولة
وأضاء البيت بنورها وأن فتحت الأبواب انطعت الشمعة وأظلم البيت
وكذلك الحكمة في القلب مع الحواس الخمسة وأن توجه الى سماع المسموعات
وابصار المبصرات وشم المشمومات ولمس الملموسات وذوق المنذوقات
غارب الحكمة وانطفأ النور وأظلم القاب وأن أعرض عن مدركات
الحواس الخمس بالخلوة والعزلة عن الخلق بالرياضة وقطع جميع الشهوات
تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وهذا هو النور المشار اليه
بقوله ﷺ (إذا نزل النور في القاب انفسح وانشرح قيل يا رسول الله
هل لذلك من علامه قال نعم التجافى عن دار الغرور والأناية إلى دار
الخلود والاستعداد للبوت قبل نزوله) وتحقيق هذا أن القلب له جهة الى
عالم الشهادة وهي الحواس الخمسة لأن القاب لا يدرك شيئا من عالم الشهادة
الابواسطة الحواس وله جهة الى عالم الغيب وهو عالم الملكوت ففى توجه
الى عالم الشهادة بالحواس الخمس أعرض عن عالم الغيب ومتى أعرض
عن مدركات الحواس الخمس توجه الى عالم الغيب ولا يمكنه التوجه إلى
العالمين معا فى حال بدايته ففى توجه الى أحد العالمين أعرض عن الآخر
لكن شتان بين العالمين لأن عالم الشهادة فى غاية البعد من حضرة الحق
والقلب إذا توجه اليه وترك عالم الغيب بالكلية كان حيوانا فلذا تراه أسير

الشهوات أسير الغضب كثير النوم كثير الخواض فيما لا يعنى كثير المخاصمة والمجادلة لا يراعى عواقب الأمور وأما إذا توجه إلى عالم الغيب وذلك باتباع الأوامر واجتناب النواهي والأعراض عن جميع ما لا يعنيه من فضول الكلام وفضول المنام وفضول الطعام اتصف باوصاف الملائكة السكرام وصار غضبه وشهوته مملوكين له ويتصرف فيهما كيفما شاء فحينئذ يكون إنسانا كاملا محلا للأمانة دون غيره وذلك لأن الغضب والشهوة صار للروح المشترك بين الإنسان والملاك بمثابة الشيء الكشيف للبراءة فكما أن المرآة لا تنطبع فيها الصورة إلا إذا كان أحد وجهيها مظلمًا كشيء كذلك الروح لا تكون محلا للتجليات إلا إذا كانت مشتملة على الغضب والشهوة لكن بشرط أن يكونا محمودين محفوظين عن التعدي داخلين تحت سياسة العقل والشرع فالغضب والشهوة وإن سمي الإنسان بهما ظلوما جهولا لكنهما لما دخلا تحت سياسة العقل والشرع صارا علة لحل الأمانة وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا إذا عرفت هذا عرفت أن الغضب والشهوة إن كانا مملوكين لك كمنت أنت الخليفة المشار إليه بقوله (أنى جاءل فى الأرض خليفة) وإن كمنت أنت مملوكا لهما كمنت أنت حيوانا فى صورة إنسان بل الحيوان خير منك لأن الحيوان ليس عليه تكليف ولا عذاب فى القبر ولا فى جهنم فجدوا جهداً أيها الطالب وأترك التواني واسع على نيل السعادات ونزه نفسك عن درجة الحيوانات واستعن بالله تعالى مع الرياضات والمجاهدات من الجوع والسهر والاعتزال عن الخلق والصمت والذكر والفكر فتملك بذلك غضبك وشهوتك وينشرح صدرك فلا ترى هما ولا غماو يوضع عنك وزرك الذى انقض ظهرك فلا يبقى فيك شيء

من مقتضيات البشرية المقتضية للذنوب والآثام فتسعد السعادة الآخروية ويرفع لك ذكرك فتهايك أعداؤك فتتجو من مكرهم فتسعد السعادة الدنيوية ومن كانت هذه أحواله فلا شك أنه هو الخليفة وأعلم أنك وأنت في أول هذا المقام أعنى المقام الثانى الذى تسمى فيه النفس باللوامة لا تخلو من العجب والكبر وهما سببان للغضب لأن الغضب نار مستكنة فى القلب استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر من القلب والكبر صفة فى النفس تشأ من رؤية النفس وهذا الغضب هو حقيقة العجب وأما التكبر على الخلق الحاصل فى الخارج فهو أثر تلك الصفة وهذا الغضب هو الغضب المذموم لأنه ناشئ عن رؤية النفس فيغلب صاحبها بحيث لا يدخل تحت سياسة العقل وإشارة الشرع ويصير الرجل معه كالمضطر فتتغير صورته الظاهرة وتقبح ولا شك أن صورته الباطنة أقبح ولعل هذا الغضب من النار التى خلق منها الشيطان وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا بقوله إعاشة حين غضبت (جاء شيطانك فقالت ومالك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله تعالى فأعاني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بالخير) وقد أودع الله هذه النار فى باطن الإنسان لحكمة فإذا اشتعلت بسبب من الأسباب على دم القلب وانتشر فى العروق وارتفع إلى أعلى البدن وانصب على البشرة فتحمران كان الغضب على من هو دورته وتصفر إن كان الغضب على من هو فوقه خرفا منه وأن كان غضبه على من هو نظيره فتحمر تارده وتصفر أخرى وقد ذمه النبى ﷺ فى أحاديث كثيرة منها ما ذكرناه فى الباب الثانى وهى لا تكاد تنحصر فمن أراد النجاة فليسع على خلاص نفسه من هذه الخصلة القبيحة التى لا يرضى بها من له أدنى تأمل وذلك بقطع مادتها من أصلها وهى الكبر والعجب وقد عرفت

أنهما لا ينقطعان بالكلية لابسوك طريق المقربين وهو
أتعاب النفس بالجوع والسهر والصمت والعزلة وابعادها عن عاداتها
وتنزيها بالذكر والفكر وغير ذلك وعلاج الغضب عند هيجانه أن تأمل
في خسة نفسك وضعفها وتعلم أن من كان في هذه الخسة لا ينبغي له الاستعلاء
على الغير وإن تعلم ثواب كظم الغيظ وأن تخوف نفسك من عقاب الله تعالى
وألیم عذابه وأن تعلم أن الله تعالى أقدر عليك منك على غيرك وأن تحذر
نفسك من عاقبة الغضب وهو أنك إذا غضبت وانتقمت من أحد فلا شك
أنه يصير عدوا لك متشمرا للانتقام منك وإن كان أضعف منك فيشتغل
قلبك وتكثر عليك الأفكار والخواطر والخوف والهموم وكان يعينك
عن هذا كله التحلم عند الغضب فتستريح من هذه الأفكار والهموم وتتشبه
بالأنبياء والمرسلين وإن لم يكن لك حلم لأن الحلم حالة اضطرارية والتحلم
من الأمور الاختيارية وهو كظم الغيظ فانت مكلف بالتحلم لا بالحلم
ولكنك أن تحلمت مرة بعد مرة تخلفت بالحلم الاضطراري وكنت كاهل
العقل لأن الغضب حينئذ دخل تحت سياستك وقد قال النبي ﷺ (إنما
العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوقى الشريوة) فإذا
هجم عليك الغضب فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقل (اللهم رب النبي
محمد اغفر لي ذنبي واذهب عني غيظ قبي وأجرتني من مضلات الفتن)
هكذا ورد عنه ﷺ وإن كنت في حال الغضب قائما فاجلس وإن كنت
جالسا فاضطجع قال النبي ﷺ (الغضب جمة يوقد في القلب ألم ترا إلى
انتفاخ أو داجه وحمرة عيونه فإذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فليبتقل فإذا
كان قائما فليجلس وإن كان جالسا فليقم فإن لم يزل غيظه فليتوضأ بالماء

البارد وليغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء) وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم (اللهم أغنى بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى وجملي بالعافية) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (ابتغوا الرفعة عند الله تعالى قالوا وما هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم على من جهل عليك) فانظر يا حبيبي بعين بالانصاف الفرق بين الغضب والحلم واختر الأحسن منهما لنفسك وتخلق به لأن اللازم والواجب عليك كمال نفسك وتزكيتها وتصفية قلبك وصقل مرآتك وإزالة الاكدار الخبيثة عنه ليصير قلبا فتصير أنت به انسانا واستعمل هذه الأدوية وعالج ذاتك الشريفة بها وخلصها من هذه الأمراض النفسانية التي هي أعظم الأمراض الجسمانية وأنفع الأدوية إزالة الكبر والعجب من النفس لأن بازالتها يزول الغضب الأصلي لأنهما أصله وما ذكر من الأدوية الباقية من يله للغضب الطاريء مع بقاء أصله وهو الكبر والعجب الا إذا انقطع المدد عنهما وهو الشبع وامتلاء البطن فجاهد نفسك بالجوع والسهر لتخلص من الغضب ومما يتفرع منه كالحقد وتتخلص مما يتفرع من الحقد كالحسد وذلك لأن الحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فيكون الحسد متفرعا عن الغضب بواسطة الحقد والحسد خصلة ذميمة ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) وحقيقة الحسد أن يكره الانسان نعمة الله تعالى على أخيه فيحب زوالها عنه سواء كانت النعمة دنيوية أو أخروية قال الله تعالى (ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) فاخبر الله تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسد واعلم أن من جملة أسباب الحسد الغضب كما مروله أسباب آخر مثل حب الرياسة وخبث

النفس وكثيرا ما تكون هذه الأسباب بين أهل الطرائق المنتصوفين فيتمنى
أحدهم زوال ما على أخيه من المشيخة أو الخلافة وما هو عليه من الاستقامة
والتوجه إلى الله تعالى وذلك من حب الرياسة وخبائثة النفس ولو علم هذا
الحاسد ضرر هذا الحسد في الدنيا والآخرة وترك الطريقة واشتغل بالأسباب
وذلك خير له أما ضرره في الدنيا فلأنه يتأذى بالحسد ليلا ونهارا وصار
ضجيعه لا يفارقه وأما ضرره في الآخرة فلا سبب لخطأ الله تعالى على
الحاسد وثواب المحسود وعلى كل حال فالحسد قبيح وعلاجه تخويف
النفس بما يترتب عليه من التعب في الدنيا والعقاب في الآخرة وأحسن
علاجه التفكير في أن الحاسد صار صديقا لعدوه بإيصال الشر إلى نفسه
وإيصال النفع إلى عدوه وعلى الجملة فأفات النفس كثيرة ولا يقطعها إلا
الصادقون من سالكي طريق المقرين بمجاهدة النفس والاستعانة بالله تعالى
عليها وعلى الشيطان وعلى كل قاطع يقطع السالكين عن طريق مولا لهم من
الانس والجن وغيرهما لأن كل ما في الوجود يسعى على قطع السالك
عن حضرة ربه غيرة منهم وحسدا وذلك لعلمهم أن من سلك هذه الطريقة
وصدق في سلوكه يؤل أمره إلى الخلافة عليهم والسلطنة على جميعهم ومن
كان هذا حاله فلا شك أنه محسود ولكن الحسد لا يضر الا صاحبه
فينبغي على السالك أن لا يلتفت إلى شيء من الأشياء ولا يبالي منه ولا يخافه
ولا يهابه لأن الله تعالى أقرب إليه من جميع الأشياء ولا يتحرك رجل نملة
إلا بأمره وقدرته وهو أعلم بالسرائر وما انطوت عليه لا يعزب عن
عليه شيء في الأرض ولا في السماء لأنه تعالى أرأف وأشفق عليه من
الوالدة على ولدها ولأنه تعالى لا يصدر عنه إلا الخير وما يرى من الشر فهو

بالنسبة الى الظاهر والا لو نظرت الى باطنه بعين التحقيق لرأيت خيرا خضوا وانما سمي شرا بسبب عدم ملائحته لبعض الطبائع (١) وقد يكون ملائمة لها فلا ذلك قالوا أن الخير مقتضى أولو بالذات والشر مقتضى ثانيا وبالعرض والسالك قبل أن يطلع على هذا السر العظيم يجب عليه الجهد والاجتهاد على تصفية القلب لي شاهد شهودا ذوقيا إذا عرفت هذا عرفت حينئذ أربعة أمور لا بد للسالك منهما الأول معرفة أنه تعالى لا يتعاضى على قدرته شيء والثاني أنه تعالى عالم بكل شيء والثالث معرفة أنه تعالى رؤف شفيق أرحم الراحمين والرابع معرفة أنه تعالى جميع أفعاله خيرة ومن عرف هذه الأمور وصدق بها لا يخاف من كيد الحاسدين ولا يهاب من الانس ولا من الشيطان فعليك أيها الأخ بالتصديق بهذه الأربعة الأشياء والتأمل في مغنيها والتصدق

(١) إذا كانت الامور بخواتيمها ونتاجها كان كل ما يصاب به المؤمن في الدنيا خير لا شك فيه وان كان في ظاهره شرا : إنظر الى قول الحق جل وعلا (إن الذين جاءوا بالافك عصابة منك لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير) وای شر أعظم من التكلم في عرض نبي الله بالسوء ومع ذلك يقرر أصدق القائلين سبحانه لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير. ويقول جل شأنه (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فالمرء يحكم عادة على الشيء بحسب ملائحته لنفسه فان تلاءم الشيء ونفسه حكم بالخير وان تنافر الشيء ونفسه حكم على ذلك الشيء بالشر وذلك عين الخطأ في الواقع ولذا نرى من برئت نفسه من الحكم على شيء على خلاف ما هو عليه عند الله بدعوى معرفة الاصلح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي عنه يقول لا أبالي أصبحت غنيا أم فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي

في التوجه وعدم الالتفات إلى شيء من الأشياء مما لا يعينك فاما تحققك بان الله تعالى قادر على كل شيء فيزيد همتك على التوجه اليه والطلب منه مع التيقن بالاجابة والطلب على هذا المنوال لا يرد أصلا وأما تحققك بانه تعالى عالم بكل شيء رؤوف رحيم وجميع أعماله خير فهذه الأمور تحقق لك مقام التوكل والرضا والشوق والمحبة وغير ذلك من المقامات السنية والأحوال المرضية وتعينك على الترقى إلى المقام الثالث وهو الذي تسمى فيه النفس بالمهتمة ومنه تترقى إلى النفس المطمئنة ثم إلى النفس الراضية ثم إلى المرضية ثم إلى الكاملة وأعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى أن الترقى من المقام الثاني إلى الثالث لا يكون إلا على يد المسلك العارف بمقامات الطريق وأحواله ويمكن أن يخرج الله تعالى العادة ويترقى من لفهم وذكاء من غير مسلك على الخصوص إذا استعان بمطالعة هذا الكتاب ومماثلته لأنه وإن كان مؤلفه ضعيف الحال والمقام لا يذكر بين أصحاب الأحوال وليس هو من خيرة هذا الميدان إلا ان مؤلفه هذا لم يسبق بتأليف على هذا المنوال لأن كل باب من أبوابه كالقدمة للباب الذي بعده فاذا عمل السالك بما في الباب الرابع مثلا يترقى إلى المقام الذي يشتمل عليه الباب الخامس وهلم جرا إلى أن يصل إلى أعلى المقامات وهو المقام السابع في الباب العاشر وكذلك الترقى من المقام الثالث إلى المقام الرابع لا يكون إلا بالاستعانة بانقاس المسلك الكامل لا المسلك العارف لأن الكامل عارف وزيادة فكل كامل عارف ولا عكس ولا يقال للمسلك كامل إلا إذا أتقن المقام الرابع الذي تسمى النفس فيه بالمطمئنة وهو أدنى درجات السكال وقد يقال إن أتقن المقام الثالث عارف فالفرق واضح بينهما وإنما قلنا لا يكون الترقى من المقام الثالث إلى

المقام الرابع الا بانفس الكامل لان المقام الثالث أصعب المقامات وأخطرها لأنه جافع للخير والشر والنفع والضرر يلتبس فيه الحق بالباطل والزندقة بالتحقيق إلا على من صارت العبادة واتباع الشريعة خالقاً له وكان شريف النفس حسن الاستعداد كريم الأصل على الهمة صائب الفكر قريب الكشف فإنه يرى الحق حقاً ويرى الباطل باطلاً وسيتضح لك خطر المقام الثالث في الباب السادس الذي هو بعد هذا الباب وأما الترقى من المقام الرابع إلى المقام الخامس ومنه إلى السادس ومنه إلى السابع فإنه لا يحتاج فيه إلى المسالك إلا القليل من السالكين لأنه إذا أوقد الله تعالى في القلب مصراجاً من سرج الكمال أبصر السالك جميع الكمالات ويبقى وصوله إليها متوقفاً على همة بتوفيق الله تعالى فلا يحتاج إلى المسالك كثير احتياج وقد عرفت أن الباب الرابع مقام كمال وإن كان أدنى الكمالات

الباب السادس

في بيان النفس الملهية وإن سيرها وعالمها ومحملها ومطاميرها ووصفاتها وبيان العلاج من الخلاص منها والترقى عنها إلى المقام الرابع فسيرها على الله يعني أن السالك لا يقع نظره في هذا المقام إلا على الله تعالى لظهور الحقيقة الإيمانية على باطنه وفناء ما سوى الله في شهوده وعالمها عالم الأرواح ومحملها الروح وحالها العشق وواردها المعرفة وصفاتها السخاوة والدعاة والعلم والتواضع والصبر والتحمل والأذى والعفو الناس وحملهم على الصلاح وقبول عذركم وشهود أن الله تعالى أخذ بناصية كل

دابة فلم يبق له اعتراض على مخلوق أصلاً (١) ومن صفاتها الشوق والهيمنان والبهكاء والقلق والاعتراض عن الخلق والاستغفال بالحق والتلوين وتعاقب القبض والبسط وعدم الخوف والرجاء وحب الاصوات الحسنة وزيادة الهيمنان عند سماعها وحب الذكر وبشاشة الوجه والفرح بالله والتكلم بالحكم والمعارف والمشاهدة فهذه الصفات وأمثالها صفات النفس المهمة وإنما سميت مهمة لأن الله تعالى أهمها فجورها وتقواها وصارت تسمع بغير آلة لمسة الشيطان بعد أن كانت وهى فى المقام الذى قبل هذا لا تسمع شيئا لأنها كانت قريبة من مقام الحيوانات

(١) لكل مقام فى المقامات حكمه وحكم هذا المقام أن يرى السالك فيه أن الأمر كله بيد الله وما من دأبه فى الأرض الا هو آخذ بناصيتها فيحمله الشهود دفيه لهذه الحقيقة على عدم الاعتراض على أحد من خلق الله ولا يرى وهو فى هذا المقام شيئاً من القبح كما قال القائل: إذا مارأيت الله فى السكل فاعلا صيرت جميع الكائنات ملاحاً : واذ لم تر الا مظاهر ضعه جهلت وصيرت الملاح قباحاً : وهذا وان كان كمال فى مرتبه أعلى ممن دونه الا أنه بالنظر الى الكمال المحمدى يعتبر نقصاً . لان لكل فعل يقع فى السكون نسبتان نسبة الى الله تعالى باعتبار الخالق لكل شيء وهى نسبة خلق وإيجاد ونسبة الى العباد وهى نسبة اضافة وإسناد فشهود الحقيقة دون النظر الى المرتبة الخلقية يقتضى التسليم للاخلق فإيمانهم فيه أو عليه وهذا فيه تعطيل لمرتبة الامر والنهى على الأقل عند صاحب هذا الشهود الذى لم يتسع استعداده بعد لشهود الأمرين ومن هنا كان وجهه النقص . وشهود المرتبة الخلقية دون النظر الى شهود هذه الحقيقة حجاب ونقص فالكمال المحمدى فى ذلك الأمر هو ان تشهد

ولاجل أنها سمعت لمة الملك ولمة الشيطان (٢) كان هذا المقام خطرا صعبا يحتاج السالك فيه الى من يخرج به من ظلمة الشبهات الى نور التجليات لانه وهو في هذا المقام ضعيف الحال لا يفرق بين الجلال والجمال ولا ينما ألقاه الملك وألقاه الشيطان لانه لم يخلص من الطبيعة بالكلية ولم تسلب عنه جميع مقتضيات البشرية ويخشى عليه ان غفل عن نفسه أن يهوى الى سجين وأسفل السافلين أعنى المقام الأول الذى تسمى فيه النفس بالامارة فيرجع الى ما كان عليه من الاكل الكثير والشرب الكثير والنوم الكثير والاختلاط مع الخلق وربما يفسد اعتقاده ويترك الطاعات ويرتكب المعاصى ويزعم أنه موحد مكاشف بحقائق الأشياء وأنه من المحققين أهل الكشف وأن غيره من أهل الطاعات محجوبون عن هذا الشهود فان فسد اعتقاده هلك مع الهالكى والتحق بالكفرة المشركين واطلعت نار الطبيعة على فؤاده فاحرقت ما كان فى قلبه من الايمان وضاع تبعه وعزاه وما بلغ شيئا من مناه صار شيطانا ضالا مضلا لا حت له خيالات شيطانية فنان أنه تجليات

الأميرين حقا مع إعطاء كل مرتبة حكمها فتضيف الى الحق ما أضاف الحق لنفسه وتضيف الى العبد ما أضاف الحق إليه فان كان خيرا حمدته بلسان الشرع وان كان شرا انكرت عليه بلسان الشرع والمنكر بلسان الشرع فى طور التحقيق غير معترض . وفقنا الله الى ما فيه الصواب والرشد .

(٢) يقول ﷺ أن فى القلب لمتين لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله عز وجل ولمة من الشيطان ايعاد بالفقر وأمر بالفحشاء فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قول الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا .

رحمانية بعد أن كانت بشريته قد رقت وروحانيته قد قويت وزال عن قلبه صممه وقرب فرجه وما بقى عليه الا القليل حتى يدخل حضرة الملك الجليل ولاحت له بشار التوحيد وقوى على المجاهدة والتجريد وسبب هذه المصيبة التي أصي بها هذا السالك بعد قربيه من مقام السكمل أنه كان قريب العهد من المقام الأول أعنى المقام الذى تسمى فيه النفس بالامارة وبسبب الرياضة والمجاهدة أن كشف عنه بعض الحجب وزال عنه الخوف الذى كان حاصلًا من الحجب وكان يمنعه من المعاصى ويبعثه على الطاعات وقل من اذا زال خوفه أن يدوم اتباعه للشريعة فالواجب عليك أيها السالك فى هذا المقام متابعة الشيخ وإن سولت لك نفسك أنك أرقى منه وأنت موحّد وأنه محجوب ويجب عليك اتباع الشرع وملازمة الأدب وأن تسكره نفسك على قراءة الاوراد وتقيها بقيود الطريقة وان عسر عليها ذلك لأنها فى هذا المقام مائلة للاطلاق وخلع العذار وعدم المبالاة او المقصود مخالفتها الى أن تطمئن وذلك بالوصول الى المقام الرابع الذى تسمى فيه النفس بالمطمئنة وهو سعادة الدارين وقرّة العين ومتى وضع السالك قدمه فيه خلص بعون الله تعالى من جميع الآفات النفسانية وجميع مقتضيات البشريّة لأنه ترقى الى أول درجات السكّال وهبت عليه نسيمات القرب والوصول وانتقل من التلويّن الى التمكن فانهض يا طالب السكّال واترك رعونات النفس ولا تغتر بما لاح لك من التوحيد ولا تجعله سببًا لرجوعك وانقطاعك عن مطالبك العلية بل كن مستعينا به على تمزيق ما بقى من الحجب النورانية واطلب الحضرة الاحدية ولا تلتفت فى طريقك الى ما لاح من البوارق العلوية لأنها حجب تمنعك عن التقرب الى الذات العلية وتكون سببًا

لعودك الى مقام الحيوانات فداوم على الأشياء التي أوصلتك الى ما أنت فيه من الانكشاف تخلص من الخطر ويزيد انكشافك وذلك بان تفعل ما كنت تفعله أولا من السهر والجوع والاعتزال عن الخلق وقلة الكلام وأن تتمسك بأذيال شيخك ان كان هو كاملا وسيرد عليك أو صافه في خاتمة الكتاب بان تخبره بكل ما خطر لك حسنا كان أو قبيحا وكل ما زاد اعتقادك به قوى انجذابك إلى عالم القدس وضعف بجانب البشرية وقد يغاب على ظنك في هذا المقام أنك أعرف من شيخك فتتحرّم المدد منه إن فعلت ذلك فادفع هذا الظن بمطالعة خاتمة هذا الكتاب فانك تعلم منها أوصاف الكامل ولا يلتبس عليك بغيره ومتى علمت أنه كامل فادخل تحت كنفه واجزم بأن خلاصك على يده وتحمل ما تلقاه منه من الاذى وكن بين يديه كالميت بين يدي الغاسل وأياك أن تنكر عليه حالة من حالاته وإذا صار لك عليه انكار فاعرضه عليه وتب منه إليه وقد يحصل لك منه ما يقتضى الانكار عليه كأن تراه ينهر خادمه على اتلاف شيء من الأشياء التي لا قيمة لها ويضربه ويتألم على فقد ذلك الشيء فادفع هذا الانكار بان أحوال الكامل لا تقاس على أحوال غيره ولا يعلم حقيقة الكامل الا الله تعالى وإذا لم يتيسر لك صحبه الكامل فهاج نفسك باتباع الشريعة وملازمة الاوراد الواردة عن النبي ﷺ والاستغفار وأكثر من محبة الابرار هذا كله إذا وقعت في الخطر وغلب شر هذه النفس على خيرها فان لم تقع في الخطر وغلب خيرها على شرها فانبسط وانشرح وانطرب واخلع العذار وأعرض عن الاكدار ولا تتفكر في جنة ولا نار ولا تلتفت إلى من يهيك بخلع العذار المحجوب بأغيار وان غضب عليك وقلاك لأن

مطلوبك غير مطلوب به فلا يمكن الاتفاق بينكما لأن مطلبه سفلى ومطلبك
علوى وهما ضدان لا يجتمعان قال تعالى (فاعرض عن من تولى عن
ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) وصاحب من كان مطلبه موافقا لمطلبك
وفي هذا المقام قال العارف بالله تعالى قدس الله سره

خلعت عذارى واعتذارى لأبس الخلاعة مسرورا بخلعى وخلعتى
وخلع عذارى فيك فرض وأن أنى اقترانى قومي والخلاعة ستى
وليسوا بقومي أن أعابوا تهتكى وأبدوا قلا واستحسنوا فيك جفوتى
فأهلى فى دين الهوى أهله وقد رضوا إذا عارى واستطابوا فضيحتى
فمن شاء فليغضب سواك فلا أذى إذا رضيت عنى كرام عشيرتى
والحاصل أن هذا المقام الثالث مقام جامع للخير والشر فإن غلب خير
النفس على شرها ترقى إلى المقامات العلية وإن غلب شرها على خيرها
تنزلت إلى سجين الطبيعة وأسفل السافين ويجب على اليالك حينئذ اتباعها وتحقيرها
كأمر وعلامة غلبة الخير على الشر أنك ترى باطنك مغمورا بالحقيقة الإيمانية
وظاهرك مغمورا بالشرعية الإسلامية وذلك بأن يكون باطنك محققا بأن جميع ما فى
الوجود جار على وفق إرادة الله تعالى مقدور بقدرته تبارك وتعالى وأن
يكون ظاهره متلبسا بالطاعة محتثا لجميع الكبائر وأكثر الصغائر سواء
كنت بين الناس أو فى الخلوة هذا علامة غلبة الخير على الشر وأما غلبة
الشر على الخير فهو أن يقوى شهود الحقيقة الإيمانية على السالك مع بقاء
شئ من بشريته ولا يكون ظاهره مغمورا بالشرعية فيترك الطاعات
ويرتكب المعاصى والمخالفات وذلك لأنه لما قوى عليه شهود الحقيقة
ورأى أن أفعاله جارية على وفق إرادة الله تعالى انجذب بأنوار الحقيقة

عن أصرار الشريعة فطرد عن أبواب الحضرة الجامعة للضدين وعن شهود
الواحد الحقيقي اثنين ووقف عند البوارق التي وافقت طبعه وخسر دنياه
ودينه فغلب شره خيره وصار زنديقا لا يقف عند دين من الأديان ولا يميز بين
الإنسان والحيوان وسأضرب لك مثلا يعينك على الخلاص من شر هذا
المقام عند غابة شهود الحقيقة وسقوط الشريعة من عينك وبه تعلم أن
الشريعة باطن الحقيقة وسرها لا كما فهمته من مطالعة الكتب وبعض الأفواه
من أن الحقيقة هي باطن الشريعة وسرها وذلك كسيد بنى دار عظيمة
ووضع فيها جميع ما يحتاج إليه الإنسان من أمور الدنيا والآخرة وجميع
الأمور الخيرية والشرية وعين لكل نوع من أنواع الخير بابا وأخير
عبيده أنه قد جرت عادتي أني لا أخرج هذا النوع من الخير إلا من هذا
الباب وعين لكل نوع من أنواع الشر بابا وأخيرهم كذلك فعين للخير
بابا مثلاً واللها بابا واللحم بابا واللحم بابا وللثياب بابا ولكل نوع من أنواع
الملبس بابا وعين لصحبته أبوابا ولرؤيته ولرضائه أبوابا ولخطه أبوابا
وأمثال هذه الأشياء مما لا يعدو لا يحسد ثم أرسل إلى عبيده رسولاً ليدين
لهم ما عينه من الأبواب لإخراج ما في الدار وليبشرهم أن من وقف على
أبواب الخير وطلبه أصابه ما عينه لها السيد ورضى عنه السيد ولينذروهم
أن من وقف على أبواب الشر وطلبه أصابه ما عينه لها السيد وغضب عليه
السيد فجاء بعض العبيد ووقف على أبواب الخير وقفة الذليل الحقير
وطلب من السيد ما عينه بفضلهم وكرمه وما نظر إلى الأبواب إلا من حيث
أن السيد عينها لأن يخرج نعمه منها فلم تحجبه رؤية الأبواب عن شهود
السيد والتذلل له ولا أهمل الأبواب وطلب نعم السيد من غير الأبواب

التي عينها السيد حيث يكون تاركا للادب مبطلا لما اقتضته حكمة السيد فهذا
الصنف من العبيد هم المقربون عند السيد وهم أجبأؤه لانهم وضعوا كل
شيء في موضعه والصنف الثاني من العبيد فعلوا مثل ما قبل هؤلاء الا أنهم
لما وقفوا ينتظرين أمر السيد أعجبته نفوسهم ورأوا أنهم خير ممن لم يمثل
أمر السيد فحس عليهم السيد أنهم معجبون فأخرج لهم ما عينه من الخير
الا أنه لم يقربهم من حضرته كما قرب الصنف الاول وأما الصنف الثالث
من العبيد فانهم لم يقفوا على الابواب فلم يخرج لهم ما عينه السيد لكونهم
يعتقدون أن الابواب لا دخل لها أصلا بل ولا هناك أبواب وأن المعطى
هو السيد من غير باب ولا اقتضاء حكمة فابعدهم السيد عن حضرته
لجلالهم بحكمته وعدم وقوفهم على أبوابه فصاروا يدعون محبته وهو يكرههم
فالعبيد حيثئذ على ثلاثة أقسام قسم شهدوا أن السيد معطى من باب عينه
بفضله وقسم شهدوا هذا المشهد مع رؤية نفوسهم وقسم لم يشهدوا سوى
السيد فالسيد (مثال لله تعالى والله المثل الأعلى والدار مثال لخزائنه
الغيبية والابواب مثال للحدود الشرعية ورسول السيد مثال لرسول الله ﷺ
فما حده ﷺ الصلاة مثلاً فكانه قال أقيموا الصلاة وعدلوا أركانها تحصل
لكم قرّة العين ويرضى عنكم رب العزة جل جلاله) لان الصلاة باب من
أبواب خزينة الغيب يخرج منه للمصلين الفارغ القلب قرّة العين كما قال
النبي ﷺ (وجعات قرّة عيني في الصلاة) ولم يقل بالصلاة فافهم من امثل
قوله وأقام الصلاة مطيعاً لأمره راجياً ما وعده من قرّة العين في الصلاة
والنعيم المقيم في الآخرة كان من المقربين ونال مراده فوق ما كان راجياً
ومن فعل مثل ما فعل هؤلاء ولكن دخل عليه العجب حيث أنه أطاع

أوامر سيده كان من الأبرار ومن ترك الصلاة وقال نعم الله تعالى وأطاعه
وتجلى عنه وجناته وحورها وولداتها لا تتقيد بالصلاة لأنه لا مانع لما أعطى
فقد أتى الدار من غير بابها فان لم يقم الصلاة كان زنديقا جاهلا ما أودعه
الله تعالى في الصلاة من قرة العين فهذا لو خرج له من باب الصلاة ما وعد
الله المقربين من التجليات لما تركها وقس على الصلاة جميع الأوامر والنواهي
الشرعية وأعلم أن رضا الله تعالى وتجلياته لا تصل للعبد الا من أبواب
الطاعات وأن سخط الله وطرده وبعده لا تصل للعبد الا من باب المعصية
فقف على أبواب الشريعة وقفة الذليل الخاضع لربه الجليل واسأل مولاك
كل شئ تحتاج اليه فانه لا يخيبك وأياك أن تنفر بمسالكك في هذا المقام
من أسباب الطرد واللعن فتنبع الهوى فيضلك عن سبيل الله واقه يتولى
ذلك واستعن على مطالبك في هذا المقام بتلاوة الاسم الثالث وهو (هو)
حتى تظهر ان شاء الله تعالى على الهوية السارية في جميع الوجودات
وليكن أولياء النداء ثم بدونها وذلك في جميع الأوقات في القيام والقعود
والاضطجاع أثناء الليل وأثناء النهار لتخلص ببركته من خطر هذا المقام
وبه ينقطع ما بقي من التفات النفس الى المقام الأول والثاني لأنها لا تخلو
من الالتفات اليهما لان الطبع يغلب التطبع وهي تترقب غفلتك فتغفلت
عن سورها وزجرها عادت الى الفها وسوقها في هذا المقام بالعشق والهيمن
والشوق الى الوصال والى الاجتماع مع الاحباء وتذكر لقاء المحمود والتمتع
بجمال وجه العشوق فان هذه الاشياء تقوى السالك على السير خصوصا
إذا رأى نفسه رجع الى ورائه فانه ينقطع قلبه ويزيد بكاؤه وقد روى
عن مجنون ليلي حكاية فيها إشارة الى هذا المعنى قال ركبت ناقى وتوجهت

نحو حي ليلي وسقتها بهمي حتى قطعت مسافة كثيرة فغلب على النوم فنمت فلما استيقظت رأيت الناقة قد رجعت إلى المكان الذي ارتحلت منه لأنها ألفت ذلك المكان الذي فيه ولدها فركبتها وتوجهت مرة أخرى وسقتها بهمة أقوى من الهمة الأولى ففطمت فلما استيقظت رأيتني في المكان الذي ارتحلت منه ولم أزل أركبها وهي تلتفت إلى ألفها وولدها حتى عجزت وذلت وقلت حيلتي فالتفت نفسي من على ظهرها فانكسرت رجلي فزحفت زحفا إلى أن وصلت إلى ليلي فالقاء نفسه من على ظهرها إشارة إلى اظهار العجز والمذلة والانكسار والعبودية لأن هذه الأشياء تعين على الوصول إلى جميع المطالب لأن الذل والافتقار والمسكنة اكسير السعادة قال بعض العارفين وكنت وأنا في هذا المقام إذا سمعت هذه الحكاية أو حكيته لأحد ينقطع قلبي وتنسكب عبرتي على خدي وتركبني الذلة والمسكنة حتى برحمتي كل من رآني ويرثوا الحالى ومع هذا أنا ملتذ بيكائي ومتنعم بتقطيع قلبي راض بالمسكنة والذلة فما أحسن هذا الطريق وما أحلى أحواله وما أعلى مقام سالكيه وما أنعم بالهم وان افتقروا فهم الاغنياء وان ذلوا فهم الاعزاء رأس ما لهم الذل والافتقار واظهار العجز والمسكنة قال العارف بالله تعالى قدس الله سره

ذلت لها في الحى حتى وجدتني وأدنى منال عندهم فوق همى
وأهملنى وهنا خضوعى لهم فلم يرونى وهنأنى محلا لخدمتى
ومن درجات العز أمسيت مخلدا إلى درجات الذل من بعد نخوقى
ولوعز فيها الذل ما لذى الهوى ولم يك لولا الحب فى الذل عزى
وأعلم أيها العارف أنك أنت فى هذا المقام روحانى لطيف قد أشرقت

عليك شمس العيان وأقبلت عليك بشائر الكمال وهب عليك نسيم الوصال
وكشف عن قلبك من الحجب أكثرها وأكثفها وزال عن نفسك من
الخطوط أعظمها وأقبحها لأن هذا المقام للروح والروح وإن كانت محجوبة
عن شهود جمال الحق ولها حظوظ تقطعها عن الوصول إلى حضرتها إلا
أن حجابها نوراني وحظوظها مقبولة لأن حظوظ طلب رؤية الحق وطلب
المشاهدة والوصال وذلك من غلبة العشق والشوق والهيمنان المقتضية
لطلب الشيء قبل أوانه وهذا شأن العاشقين فانت في هذا المقام من العاشقين
المتلذذين بالذل والافتقار والمحبين الذين ليس لهم عن محبوبهم اضطبار وكل
ما سمعت من الاشعار المنقولة عن السادة الصوفية فهي مقولة في هذا المقام
فاخضع العذار ولا تبالي من العار واسع على سقوط حرمتك من أعين
الناس بتغيير الجلاس حتى لا يكون لهم بك اعتنى ولا يكون لك عندهم
قيمة ولا قدر ولا ذكر لأن بهذه الأشياء يلتذ العاشق وبها يعلم الكاذب
من الصادق ولذا قال العارف بالله تعالى سيدي عمر بن الفارض

ولو عز فيها الذل ما لذى الهوى ولم يك لولا الحب في الذل عزتي
ومدح المحبة كثير والصادقون منهم قليلون والصادق في المحبة هو الذي
ليس في قلبه سوى محبوبه نسي الخلق كلهم فلم يخطروا على باله وإذا لم
يخطروا بباله فهو أيضا لم يخطر ببالهم فكذلك لم يذكره ولم يعتنوا
به وأنكروا عليه حاله وقالوا عنه أنه مجنون لأنه بدل ما كان عليه من
العز والرفعة بالذل والافتقار قال العارف بالله تعالى مشيرا إلى هذا المعنى

تبا لهم قومي مذروني متيما وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وماذا عسى عنى يقال سوى غدا بنعم له شغل نعم لي بها شغل

وقالت نساء الحى عما يذكر من جفانا وبعد العز نذلة الذل
إذا أنعمت نعم على بنظرة فلا أسعدت سعدى ولا أجهلت جمل
وأعلم يا حبيبى أن من شرط المحب امتثال أمر المحبوب ول بعضهم فى هذا المعنى شعر
تعضى الآله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع
وأياك أن تول بك التقدم وتظن أن المراد يخلع العذار ترك الأوامر الشرعية
كما يظنه الفضالون المضلون الملاحدة الزنادقة الذين لم يخرجوا من عالم
الطبيعة ولم يكن لهم علم بالحقيقة ولا اتباع الشريعة فيتركون الصلاة
والصوم ويتبعون شهوات ويفعلون المنكرات ويدخلون الخمارات والقهوات
ومع هذا كله يدعون أنهم أناس موحدون وأنهم محبوبون لحضرة الحق
وأن ما هم فيه هو خلع العذار وأن مثلهم قد سقط عنه التكليف ولم
يعصوا فاتهم الله تعالى أن هذا كفر وضلال وبعد عن حضرة قذى الحلال
ولا يوافق مذهبا من المذاهب ولا ديناً من الأديان وما أشبه أصحاب
هذا المذهب بالحير فى الأكل الكثير والنوم الكثير وعدم المبالاة وعدم
الحياء من الخلق فى قضاء شهواتهم بين الناس فأياك أيها العارف أن يغلب
هذا الشهود الشيطانية عليك وتعتد بان المراد من خلع العذار هذه الأمور
النفسانية والأهواء الشهوانية بل المراد من خلع العذار أنك تفعل الأفعال
الموافقة للشريعة المسقاة لجهاك وتعظيمك عند الخلق الموجهة لعدم
اعصائهم بك وعدم توقيفهم لك بأن تحمل حاجة بيتك على ظهرك وتحمل
طبق العجين على رأسك وأبزه وتنقل الماء إلى عيالك وإلى أخوانك
وتختلف هذه الأعمال بين الأشخاص فقد تكون هذه الأشياء مسقطاة
لجاء بعض الناس وقد يكون فيها تعظيم بعضهم فيذبح عليك أن تنظر

الأشياء التي تسقط جاهك عند الناس وتفعلها والله هو الوكيل عليك وإن أحسنت أحسنت لنفسك وإن أسأت فعلى نفسك فلا تلبس على نفسك فإن وخامة التلبس راجعة عليك وأياك أن تفعل ما يخالف الشرع وتقصد به إسقاط جاهك من أعين الناس بأن تشرب الخمر أو تفعل شيئا من المحرمات فإن هذه دسيسة شيطانية تقطعك عن مطلوبك فإن المحرمات من خواصها ظلمة القلب ومتى أظلم القلب شوهدت الأشياء على خلاف ما هي عليه ووقع الخطب وأنت إن كنت صادقا في طلب الأشياء المسقطعة للجاه فعليك بالأشياء المباحة الشرعية تراها أكثر من الزم والندى حاجة لك بالمحرمات التي إذا فعلتها تلفت عليك كل ما تهبت عليه في سلوكك إنما المراد أنك تفعل شيئا يصلح ما تهبت عليه وفيدك فائدة تساعدك على قطع ما بقي فيك من القواطع المانعة من الوصول وفائدة خلع العذار الشرعي قطع الموانع التي تمنع عن لقاء المحبوب وهي كثيرة جدا ولا يقطعها كلها إلا خلع العذار بالوجه الشرعي مثلا الملبس الفاخر من بعض القواطع لأنه يحتاج من ابتلى به إلى تحصيله بأنواع الحيل والتعب وهذا قاطع له عن محبوه فهو بعض فوائد خلع العذار وقس على هذا المثال أن كنت عارفا بكل شيء يقطع عن حضرات القرب ويصرف وجهه السالك عن جناب الرب وأعلم أنك في هذا المقام لا يعسر عليك خلع العذار كما يعسر في غيره من المقامات لأن هذا المقام مقام انعشق ومن كان في مقام العشق يسهل عليه خلع العذار ولذلك لم نذكره في المقام الذي قبله ولا في الذي بعده لأن كل مقام له مقال وما هذه إذا كان على الوجه الشرعي وما أنوره وما أكثر ثوابه وما أقبله عند العقلاء وإن اغتاظ منه الحقما السفهاء وأعلم أيها السالك أنك متى تمت

خلع العذار ماتت نفسك الشيطانية القاطعة عن جناب الحق وحصل لك
خطاب الروحانيين بأمر أو نهى أو خبر ولا تلتفت إلى شيء منه (وقل الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) ولا يزدك خطابهم فرحاً ولا حزنًا لأن
مقصد الجميع أن يلهوك عن مطلوبك فلا تشتغل إلا بمحبتك وإن لم
تسمع شيئاً فهو الأحسن في حقك والإصلاح لك لأن الطالب قد ينقطع
عن السلوك بسبب سماع شيء من ذلك لأنه شيء غريب ما سمع مثله قط
فيظن أنه خطاب الحق وأنه وصل إلى مطلبه فتفتر همته وتكل عن العمل
ويرجع إلى عالم الطبيعة وهذا أيضاً من خطر هذا المقام فكن منه على
حذر ولا تنقطع بشيء من الأنوار فإن إلى ربك المنتهى ولا تقف عند
شيء سوى الله واستعن به على قطع ما يقطعك عنه فإنه لا وصول إليه إلا
به وإياك أن تنغر بشيء يكشف لك فتفتر عن مجاهدتك بعدما صارت لك
خلقاً وسهلاً عليك لأن مطلبك غالى الأسعار عالى المقدار كثير الأخطار
لا يصل إليه الاكل من علت همته ولا يهتدى إليه الاكل من صحت إرادته
وفي هذا المقام يعرض عليك حالة الفناء فتعينك على الترقى من هذا المقام
إلى المقام الرابع وهو الذى تسكون النفس فيه مطمئنة والفناء فى هذا المقام
حالة تعرض على السالك تغيبه عن كل مدرك غيبة ذهول لاغيبية اغماء
أو نوم فتذهل كل حاسة عن محسوسها وتصير كأنها تدرك ولا تدرك
تذهل العين مثلاً عن المبصرات مع أبصارها لها فيصير حال السالك كحال
رجل أصيب بمصيبة فرفى تلك الحالة على صاحبه ونظر إلى وجهه ولم يسلم
عليه فإذا قال له لآى شيء تمر بى ولا تسلم على فيقول له والله ما رأيته
من عظم مصيبتى وكذلك الأذن فتسمع الأصوات وكأنها لم تسمعها

وكذلك جميع الحواس ويذهل العقل أيضا عن المعقولات وهذه الحالة لا يعرفها حق المعرفة الا من اتصف بها ومن هنا (قال العارف بالله أوقفني وقال لي اعرفني بالمعرفة التي لا يقابلها الجهل فان المعرفة التي يقابلها الجهل جهل وهذا الفناء هو الفناء الاول وأما الفناء الثاني) فيعرض عليه في المقام الخامس الذي تسمى النفس فيه بالراضية وأما الفناء الثالث فهو هلاك الصفات البشرية في المرتبة الاحدية وقد مر بيانه في تعريف حق اليقين وهذا الفناء الثالث هو عين البقاء كما قيل في هذا المعنى .

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى وكان فناؤه عين البقاء

وأعلم أنك في حال الفناء الاول تسمع كلام الروحانيين لا بحاسة السمع ولا تفهم منهم شيئا ولكن إذا انصرفت عنك حالة الفناء ورجعت الى الاحساس فهمت ما قالوه ووعيت ما ألقوه إن سرك وتصورت ما نقشوه في مرآة قلبك فحينئذ أن تكلمت نطقك بالحكمة وأشار إلى هذا السر النبي ﷺ بقوله من أخاص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكلام الروحانيين في هذا الاسلوب يقال له صائلة الجرس اللهم يا من إذا سئل أعطى لا تحرمنا والمحبين هذا الفناء ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا واصر ف عنا كل شيء عنك يقطعنا يارب العالمين ويا واصل المنقطعين أوصلنا اليك ولا تقطعنا بالاغيار عنك برحمتك يا أرحم الراحمين فان قلت هل لهذا الفناء سبب إذا فعله السالك تعرض له هذه الحالة فالجواب أن سببه ستة أمور بها صارت الابدال ابدالا وهي الذكر والفسكر والجوع والسهو والصمت والاعتزال وأعظم أسبابها الجوع فياها الراغب في هذا الفناء لا تترك الرياضة

والمجاهدة في هذا المقام وأن هضبت عليك ولا تنس فضلها عليك ولا تغتر
بملاح لك من البارقات التي لا تعلم أنها شيطانية أم رحمانية لما عرفت أن
هذا المقام أعنى المقام الثالث محل التلبس لا يفرق السالك فيه بينما يلقيه
الملك وبينما يلقيه إبليس قيل للجنيده قد وصلت إلى الله تعالى فأى غرض
لك في السبحة فقال شيء أوصلني إلى مطلوبى لا ينبغي لى تركه وأنت أيها
السالك لا تغتر بملاح لك وتترك الأشياء التي تحققت أنها خير محض وأنها
توصل بعون الله تعالى إلى ماصعب من الطريق فإن النفس عدوة فلا ينبغي
أن تأمنها ولو بلغت المقامات العلية فداوم على الرياضة والمجاهدة يزيد
عشقك ويقوى هيمانك وتلتذ بما أنت فيه من الشوق والسكر وخلع العذار
ومقام العشق مقام لذة حتى أن العاشق من عظم ما يرى من اللذة لم يرد
الترقى عن مقام العشق مع أن العشق حجاب عن المشوق ولا يرغب
في الخلاص مما هو فيه من ضيق الصدر والكآبة وتقطع الاحشا وغير
ذلك مما هو مسبب عن العشق بل يطلب دوام هذه الحالة عليه قال سلطان
العاشقين مخاطبا للذات العلية .

ولو لفنائى من فنائك ردلى فؤادى لم يرغب الى دار غربة
فحالة العشق حالة مقبولة عند العاشقين وان كانت بالنسبة إلى ما فوقها
من الحالات مذمومة حتى أن الكامل إذا تذكر حالة العشق وأوقاته تراه
يتحسر لما فيها من خلع العذار وعدم المبالاة ولكنها هي مع المجاهدة
والرياضات حالة صادقة وصاحبها صادق فى جميع ما يقوله من أشعار
العاشقين وإذا تكلم يتكلم بحرقة وتأوه ناشئ من قلبه وهي مع عدم
المجاهدة والرياضة حالة كاذبة وصاحبها كاذب ليس مما يقوله من أشعار

العاشقين له طعم ولاله في القلوب تأثير تمجده النفوس إذا سمعته وقد
أخبر عن هذا العاشق الكذاب سلطان العاشقين عمر بن الفارض فقال .

تعرض قوم للغرام وأعرضوا بجانهم عن صحتي فيه واعتلوا
رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحار الحب دعوا فثابتلوا
فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم وماظنوا في السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا
ولما كان هذا المقام للروح والروح يحمل العشق والهيمن والذهول
كانت إقامة السالك فيه مدة طويلة لأن العاشق ذاهل عن نفسه ومشتغل
عن محبوبه بذكر اسمه والترنم بالأشعار التي يمدح فيها حسنه وجماله وذلك
كله في حالة البسط وأما إذا وردت عليه حالة القبض بعد البسط واستدرة
من نومة العشق والهيمن فتأتي صدره وكاد أن ينخلع قلبه من صدره فينزل
ويخضع ذلا وخضوعا حقيقيين ولا تزال حالة القبض والبسط تتعاقبان على
السالك في هذا المقام حتى يرتقى إلى المقام الرابع فيكم عشقه ويتبدل
القبض والبسط بالهيبة والانس وهما حالتان تتعاقبان على السالك لا يرفان
إلا بالذوق (والفرق بين الهيبة والقبض أن القبض تضيق منه النفس والهيبة
ليست كذلك والفرق بين الانس والبسط يغاب صاحبه حتى أنه يخشى
عليه أن يسىء الأدب مع الله تعالى والانس ليس كذلك) وعلى الجملة
فالخوف والرجاء والقبض والبسط والهيبة والانس حالتان لا غير ولكن
تتبدل أسماء هذه الأشياء باعتبار الأشخاص والمقامات فإذا اتصف بهما
من كان في النفس الامارة واللؤامة سميا خوفا ورجاء وإذا اتصف بهما
من في النفس الملهمة سميا قبضا وبسطا وإذا اتصف بهما من كان في النفس

المطمئنة أو الراضية أو المرضية سيما هيبة وانسا وإذا اتصف بهما من
كان في النفس الكاملة سيما جلالا وجمالا فالخوف والرجاء للبتدى والقبض
والبسط للتوسط والهيبة والانس للكمال والجلال والجمال للخليفة فاجتهد
أيها السالك على الترقى مما أنت فيه من القبض والبسط المتعين لك إلى الهيبة
والانس ومنهما تترقى إلى الجمال والجلال المريحين لك فان كلاهما حسن
ومنفعة لك ولاخوانك على الخصوص الجلال فانك ما توجهت في حالة
الجلال الى شيء الا وقع باذن الله تعالى لانك حينئذ خليفة الله في أرضه
وعبد الحقيق الهرف فيغضب لغضبك وينتقم لانتقامك فترى التأثير
الجارى على يدك في الوجود بعينه منه من غير شبهة فيزيدك ذلك أدبا مع
خالقك وتوبة من ذنوبك واستغفارا من غفلة قلبك عن مقام العبودية
ومتى رأيت نفسك وأنت في المقام الثالث مستقيما على المجاهدة والريضة
فافرح بذلك واستقم كما أمرت (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) فانك
وأنت على هذه الحالة متعرض للكمال وللجذبة التي هي خير من عمل الثقلين
فلا تضجر ولا يضق صدرك فانك على خير ومتعرض للسعادة وإذا حصل
لك ضيق وحصر فاصبر ولا تخلو وأنت في هذا المقام من الحصر لأنه مقام
الروح والروح له الاطلاق ففي ساعات القبض يريد أن يكسر قفس الجسد
ليتصل بعالمه وهو عالم المجردات أى عالم الجبروت ولا يقدر على ذلك
فاصبر على ساعات القبض وحرارته فان في هذه الحرارة حكما لاتعد
ولا تحصى ومن جماتها أن لو لا نار القبض وحرارته لما اتصفت النفوس
بما بقي فيها من القبايح والمفاسد لأنه لا يتميز الخبيث من الطيب الا بالنار
ومتى رأيت نفسك غير مستقيم على المجاهدة ومنهمكا على الاكل ومعاشرة

الخلق والميل اليهم فأبك على نفسك وعلى ما أصابك من التزل من المقام
الاعلى إلى سجين وأسفل السافلين (واطلب من الله تعالى العود إلى
ما كنت عليه بل إلى الترقى منه إلى السكال لأن كثير من الطالبين لم يستقم
فتزل به القدم ولم يصبر فيندم حتى لا ينفعه الندم فخالف نفسك في هذا
المقام ولا تزل معاديا لها وكلما رأيت لها ميلا طبيعيا) إلى شيء من الاشياء
فجاهدها ولا تصادقها فتى طلبت منك شيئا من أحوال الطريق فطاوعها
وان كان فيه افراط من الجوع الكثير والسهر الكثير والاعتزال عن
الخلق بالسكينة وقلة الكلام فينبغى عليك مطاوعتها وان كانت غير مخرصة
في هذه الاشياء وقصدت بها الرياء لأن الرياء قنطرة الاخلاص ولا يزال
السالك يرائى حتى يخاف بعون الله تعالى لانهم قالوا لا بأس بأن تخدع
النفس بوعدا بالكرامات وحب الخلق لها وتوجههم اليها حتى تيسل
للمجاهدة وترك العادات وان كانت هذه الاشياء مذمومة فله أن يقول
لنفسه أنك إذا توجهت إلى الله تعالى بالرياضات والمجاهدات تصدر على
يدك خوارق العادات ولكن يجب عليه أن يكون ما بينه وبين الله عامر
بان تكون جميع أفعاله ومجاهداته لأجل رضوان الله تعالى ولتصفية نفسه
من الرذائل وتحليتها بالكلمات والفضائل .

وأنت أيها السالك اياك أن تقف عند ما يلوح لك من البارقات لانها كلها
قواطع عن مطلوبك ولذا قال ابن عطاء الله في الحكم ما وقفت همة السالك
عند كون من الاكوان الانادته حقائقها الذى تطلبه أمامك (انما نحن
فتنة فلا تكفر) وبعض السالكين لا يحصل له شيء من الاشياء وذلك
لصديق توجهه لخالقه وعدم تطلبه ذلك بسره وقلبه فيستريح من الفتنة

والمحن والوقوف عند الاكوان لأن من كوشف بشيء وهو في البدايه
كان متعرضا للعطب والقطيعة إلا أن يلطب به من ابتلاه وأعظم مايكرم
به السالك في سلوكه أن تبدل أوصافه الذميمة بأوصاف مولاة الحميدة
المقبولة المنجية له من المهالك لأن المقصود من هذا الملوك الوصول إلى
ملك الملوك والوصول لا يكون الا برفع الحجب السبعين المذكورة
والحجب هي في الحقيقة عدم المناسبة بين الطالب والمطلوب فتبديل الصفات
تقرب المناسبة فافهم فانه من الأسرار واجتهد على تبديل الأوصاف
والاخلاق إن كنت مشتاقا للجمال المنطق عن كل قيد حتى عن الإطلاق
فبدل الشبع الذي هو أسفل الصفات بالجوع وبدل النوم بالسهر والكلام
بالصمت والعز والتكبر بالذل والافتقار وأمثال ذلك لأن عدم الاكل وعدم
الكلام فيما لايعنى وأمثالها من صفات الملائكة واضدادها من صفات
الحيوانات والانسان متوسط بينهما فكن انسانا حقيقيا لا انسانا حيوانيا
تترق بالانسانية إلى ما لا تصل اليه الملائكة وتتقابل مرة عبوديتك الحقيرة
الذيلة بمرآة ربوبيته تبارك وتعالى وأكمل كل كمال كون العبد في آخر
درجات العبودية مقام مخصوص بالسيد الاعظم ﷺ فليس لك في آخر
درجاتها نصيب فلا تطمع فيه بل لك أن تطلب مايقاربها من الدرجات
إذا عرفت هذا عرفت أن الذل هو إكسير السعادة وعرفت أن أسرار
الربوبية مودعة في المسكنة والعبودية فافهم وتأمل واسالك طريق الذل
والافتقار تكن من العبيد الخاضع الاحرار عن رق الاغيار فانك لا تنال
مطلبها من المطالب الا بالعبودية وقد يحصل بدونها لكن لا يتم ولذا قال
ابن عطاء الله في الحكم ادفن وجودك في أرض الخمول فماتت عالم يدفن

لم يتم نتاجه وقال بعض السادات طريقنا هذا لا يصلح إلا لاقوام كنست نفوسهم المزابيل وقال بشر بن الحرث رحمه الله ما أعرف رجلا أحب أن يعرف إلا ذهب دينة وافتضح فادفن وجودك وأخف شخصك حتى يصدق عليك قوله (ﷺ) موتوا قبل أن تموتوا وقوله من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فليتنظر إلى أبي بكر الصديق) وتحسب لك هذه الموتة عن الموتة الطبيعية حتى إذا جاءك الملك الموكل بقبض روحك يأتيك لأن ينقلك من دار إلى دار ويخلصك مما بقي فيك من الأكدار ويسلم عليك ويتلطف بك وذلك بأنك قدمت الموت الإرادي المطلوب بقوله (موتوا قبل أن تموتوا وهو الفناء الذي بيناه لك في هذا الباب وهو حالة لا يبقى للسالك معها ميل إلى مال أو ولد أو شيء من الأشياء) ولا له خوف من مكروه أصلا ولا شك أن هذه الحالة هي حالة الاموات حتى أن الميت يكشف له عن البرزخ وهذا السالك أيضا في هذه الحالة يكشف له عن عالم المثال والبرزخ وكلاهما شعبتان من عالم المسكوت فإذا دخل السالك في عالم المثال شاهد منه ما يناسب استعداده وقابليته من الاجتماع مع الأشباح كما ذكرنا فالواجب عليك أيها السالك أنك إذا لم تكن واصلا إلى هذه الأحوال فكن متعطشا لها طالبا لتحصيلا لأن كل من طلب شيئا وجد في طلبه ناله بقدرته الله تعالى فاستعن أيها السالك بما ذكر من الرياضات والمجاهدات ولا تفتر عن تلاوة الاسم الثالث فإن للأسماء خواص لا تنكر فخاصية الاسم الأول عجيبة ويعرفها غالب السالكين وهي أنه إذا واظب على الذكر يوقد الله في قلبه مصباحا ملكوتيا فيرى به ظلمة النفس الأمارة ويرى جميع قبائحها وآفاتا فيجتهد

على أخراج ما فيها وخاصة الأسم الثاني أخراج المشتغل به من ظلمة المعاصي إلى نور الطاعات وخاصة الأسم الثالث ظهور الهوية المطلقة والحقيقة الإيمانية والمعارف القدسية الربانية على قلب المشتغل به فيرغب في الحياة الأبدية ويتجافا عن لذات الدنيا الدنية (وأعلم أن خواص الأسماء لا تظهر إلا بكثرة الذكر الجلي القوي الخفي بالمداومة مع الأدب وهي أن يكون الذّاكر مستقبلا القبلة أن أمكنه جالسا على ركبتيه أو قائما) وأن يكون خالي البال وإن يلقى سمعه إلى نطقه صائفا بما يقول مع نظافة الظاهر والباطن والمداومة على الوضوء فأن كنت مع هذه الآداب متمسكا بالشرعية فأنت على خير فلا تمل ولا تضجر إذا تعوق عليك الفتح) فإنه لا بد لك منه ولو طالت مدته لكن بشرط الاستقامة والتمسك بالشرعية والطريقة واجعل ذكرك بهذا الأسم في بعض الأوقات لا هو الا هو بمدلاومدهو لأنه ذكر عظيم الشأن وكن حالة الذكر كأنك تخاطب أعضاءك بأن ليس في الوجود الاهوية الحق تعالى وأن كل ماسوى الله فهو صفاته تعالى وأفعاله فهذا المشهد هو مشهد الكاملين فاذا كلفت نفسك بهذا الشهود ودمت عليه صار لك حالا لا ينفلا، وهو الغاية القصوى وصاحبه لا يحجب بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق ولا بالكثرة عن الوحدة ولا بالوحدة عن الكثرة بل يشهد الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة ويشهد الحق تعالى ظاهرا في المظاهر فلا يشهد ظاهرا بلا مظاهر كما هو مشهد الموحدين ولا مظاهر بغير ظاهركا هو مشهد المحجوبين المسجونين في الفرق الأول وانما قلنا أن هذا مشهد الكاملين لأن المشاهدين ثلاثة كامل وناقص وناقص فالكامل ما ذكرناه والناقص مشهد الموحدين

الذين اتحد في شهودهم الظاهر والمظهر واستهلك المظاهر عندهم في الظاهر فلا يشهدون كثرة أصلا ولا خلقا ولا سوى وهذا مشهد ناقص لما فيه من التعايل وابطال خواص أسماء الله تعالى ولكن صاحبه معذور لأنه في المقام الثالث وهو مغلوب والمقام الثالث نقص بالنسبة لما بعده وأما المشهد الأنقص فهو مشهد المبتدئين الذين هم محجوبون بالخلق عن الحق فلا يشهدون الا خلقا وبالكثرة عن الوحدة فلا يرون الا كثرة فالكمال شهود الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة من غير احتجاب باحدهما عن الأخرى فلا يحجب الكامل بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق وأول درجات الكمال هو المقام الرابع الآتي بيانه في الباب الذي بهد هذا الباب رب يسر ولا تعسر وأنت الكريم .

الباب السابع

في بيان النفس المطمئنة وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها
وواردها وصفاتها وبيان كيفية الترقى عنها إلى المقام الخامس
(فسيرها مع الله وعالمها الحقيقة المحمدية ومحلها السر وحالها الطمأنينة
الصادقة وواردها بعض أسرار الشريعة وصفاتها الجود والتوكل والحلم
والعبادة والشكر والرضا بالقضاء والصبر على البلاء ومن علامة دخول
السالك في هذا المقام أعنى المقام الرابع الذي تسمى فيه النفس مطمئنة أنه
لا يفارق الأمر التكميلي شبرا ولا يلتذ إلا بالتخلق بإخلاق المصطفى صلوات الله عليه
ولا يطمئن الا باتباع أقواله لأن هذا المقام مقام التمكين وعين اليقين
والإيمان الكامل كما أن المقام الذي قبله مقام التأوين) وفي هذا المقام يلتذ

بالسالك أعين الناظرين واسماع السامعين حتى أنه لو تكلم طول الدهر
لا يمل كلامه وذلك لأن لسانه يترجم عما ألقاه الله تعالى في قلبه من حقائق
الأشياء وأسرار الشريعة فلا يتكلم كلمة إلا وهي مطابقة لما قاله الله ورسوله
من غير مطالعة في كتاب ولا سماع من أحد وذلك لأنه قد سمع بغير حاسة
ما ألقاه الله في سره أنا سر كأيها الحبيب وأنت سرى فاطمأن ما كان فيه
من الاضطراب وغرق في بحر الخياء والاداب ولزمته الخشية والهيبة وخلع
عليه خلع الوقار والقبول وظهرت له حقيقة عالم الكون والفساد وعلم
معنى قوله تعالى (كل من عليها فان) فيجب على السالك في هذا المقام الاجتماع
مع الخلق في بعض الأوقات ليفيض عليهم بما أنعم الله به عليه ويترجم
عما في قلبه من الحكم فاخرج أيها السالك اليهم وأحسن كما أحسن الله إليك
وليكن لك وقت خلوه لأنك وأنت في هذا المقام في أدنى درجات الكمال
فلا يناسبك مخالطة الخلق في جميع الأوقات لئلا تحرم الترقى إلى المقامات
الباقية أعني المقام الخامس والسادس والسابع فمتى كانت الفائدة في العزلة
فاعزل أو في الاجتماع فاجتمع وعلامه فائدة الاجتماع أن يستفيد الحاضرون
منك مما أوهبك الله من علم الصدور (١) لاعلم السطور واشتغل في هذا
المقام بالاسم الرابع وهو (حق) بحرف النداء أو بدونه فأكثر منه ولا تلتفت
إلى ما يظهر لك واطلب من ربك أن لا يظهر لك على ما يكون سبباً لانقطاعك

(١) يقول الله تعالى . إنما هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا
العلم ويقول ﷺ : العلم علمان علم على اللسان وذلك حجة الله على عبده
وعلم في القلب وذلك العلم النافع

عن خدمته وعن الوقوف على بابه فأنما يكشف لك عنه أن لم تكن محفوظا معه كان سببا لبعثك عن حضرة القرب لأن حضرة القرب لا يدخلها إلا العبيد الخاص الذين ليس لهم ما يغترون به من خوارق العادات ولذلك ترى المحفوظين من الكمل إذا أظهر الله على أيديهم شيئا من الكرامات لا يحسون بها ولا يعلمون أظهرت لهم كرامة أم لا . روى أن رجلا من أولياء الله تعالى مر برجل وضربه بحصاة أصابته في كعبه فما التففت إلى الضارب ولا عرفه ولكن الله أكرمه بأن سقط الضارب ميتا فقيل للولي أن أنت من العفو والسمح وهل يجوز لك تتل نفس حرم الله تعالى قتلها فقال والله ليس لي علم بما تقولون ولا أعرف الرجل ولكن جرت عادة الله تعالى باكرام أوليائه من حيث لا يعلمون وأمثال هذه الحكاية كثيرة فافهم المقصود منها واطلب من الله النصر والأعانة على تمزيق ما بقى عليك من الحجب فإن الحجب في هذا المقام حب الكرامات والميل إليها وقل إن إلى ربك المنتهى وكل ما سوى الله تعالى فتنة فلا تقف عنده فتكفر وقد مشوا حال من وقف عندما ظهر له من الكرامات بحال رجل طلب بيت الله الحرام وسار مع الحاج وقطع من الطريق أكثره فعند ذلك عرضت له امرأة حسناء لم ير الراؤون مثيها فادهشته وأخذت عقله فاراد الإقامة عندها ليتملى بها ويوصلها فقام إليه أمير الحاج وقال له لا تقم هنا فتنقطع عن الحاج ولكن اذهب معنا وزر بيت الله فإذا رجعنا نعقد عقدك وتدخل عليها بالحلال وإن أمت فلا يحصل لك الوصال وإذا حصل ولا بد فبالحرام لا بالحلال فتنقطع عن بيت الله تعالى وتعصاه فغلب عليه هواه وأنتقطع عن رفقة فدنا منها وأزال البرقع عن وجهها فإذا هي عجوز

مقلعة الأسنان قبيحة المنظر منتنة الفم فندم حيث لا ينفعه الندم فاراد أن يلحق رففته فما قدر وصار يبكي الليل والنهار فالمرأة مثال للكرامة التي يطلبها السالك في سلوكه وبيت الله الحرام مثال لحضرة القرب وطريق الحاج مثال لطريق القوم رضى الله تعالى عنهم فالسالك لاشك أنه إذا وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلها طوع يديه وإن غلب هوى السالك عليه وطلب الشيء قبل أوانه وتعرض لطلب الكرامات أتعب نفسه فيما لا يعنيه وانقطع عن مطلبه فإذا حصلت له الكرامة وجدها كونا من الأكوان لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة فإذا عرف حقيقتها ندم وبكى لأنه تقهر عن مقامه الذي تعب عليه حتى حصله فاعلم أن نفس الكرامة ليس شيئا قبيحا لأنه أكرام من الله تعالى لعبده ولكن تطلبها والميل إليها شيء قبيح قاطع عن حضرة القرب التي لا تنال إلا بالعبودية المودوع فيها أسرار الربوبية فافهم ولا تقف عند كون من الأكوان فيكون حظك ذلك السكون وأعلم أنك في هذا المقام تميل إلى الأوراد والادعاء وتحب حضرة المصطفى صلوات الله عليه بحبة غير المحبة التي كانت قبل هذا المقام وأياك أيها المؤمن الكامل أن تأمن للنفس في مقام من المقامات لأن العدو والذي خرس في طبعه العداوة لا ينبغي أن يؤمن مكره وأن صار صديقا ولأن الإنسان مدة حياته متعرض للمحن والبلايا والعطف فينبغي عليه التحرز من الآفات إلى الملمات وقد يعرض لك في هذا المقام حب المال لتستعين به على طاعة الله وتعين أخوانك فلا يضرك ذلك لكن بشروط الشرط الأول أن يكون قصدك الاستعانة المذكورة والشرط الثاني أن لا يشتغل قلبك في تحصيلها اشتغالا يلهيك عن

ربك والشرط الثالث انك اذا حصلت شيئا من المال فلا تحفه عن الناس وتظهر انك فقير وقد يعرض لك في هذا المقام حب الرياسة والشهرة وتدخل عليك نفسك بأن تتعرض للمشايخه والارشاد ليجمع عليك الناس ويحصل لهم على يدك الاهتداء ويبقى لك الثواب فايك أن تتعرض لشيء من ذلك فانها دسيسة من النفس وأما إذا أقامك الله تعالى وأنت في هذا المقام وأشركك والبسك ثوب المشايخه من غير سعي منك ولا جسد ولا تطالب فقم بأمر الله تعالى فانه خير لك من الاعتزال وعلامة القيام بأمر الله أن تكون محبوبا لآخوانك وهم مطيعون لك ومن علامته أنك تنظر في نفسك فلا تجد لك عليهم تمييزاً وتنظر انهم متفضلون عليك وأنهم خير منك من وجه لأنهم يرون أنفسهم أحقر منك فلهذا كانوا خيرا منك فإذا كنت مع اخوانك هكذا فأرشدتهم برفق وعظمهم وحسن لهم طريق التصوف والذل والافتقار واخفض لهم جناح الذل واحمد الله تعالى حيث وفقك لهذا المقام الذي است من أهله واشهد المنه لهم عليك ومتى عرفت أن المنه لك عليهم فاعلم انك لست من خيالة هذا الميدان فاترك المشايخه وفرقهم واسمع على خلاص نفسك مما بقي عليها من الأكدار فانه الاهم في حقك وحقهم وذلك لأن بعض النفوس هينة لينة لها باعتبار الفطرة والاستعداد الأصلي شرف وذكاء فإذا مرت على المقامات مرت بسهولة وهناوة وإذا وصلت الى هذا المقام الرابع استحق صاحبها أن يكون مرشدا لما فيه من الرفق واللطف والحلم الفطري وقد مرت على المقامات فتصفت مما عرض عليها من الكدورات البشرية فلا بأس من أن ترشد الآخوان وتصف لهم الادوية النافعة في هذا الطريق

بالشروط المذكورة هذا اذا لم يكن هناك مرشد أكمل منه فان كان
من هو أكمل منه فيجب عليه أن يرى ذلك نعمة من الله تعالى حيث أنه
أراحه وأتعب غيره وبعض النفوس صعبة خشنة خسيصة لئيمة وقد
مرت المقامات وتبدلت أوصافها الذميمة بالأوصاف الحميدة واذا وصلت
إلى المقام الرابع وصلت مطمئنة إلا أنها لاتصلح للارشاد في هذا المقام
لانعدام شروط الارشاد منها فينبغي عليك يا صاحبها أن لا تستعجل
في التقدم وكل سلوكك بالترقي إلى المقام الخامس فالسادس فالسابع
اذا عرفت الفرق بين النفوس عرفت أنه لاخلاف في المعنى بين من قال
أن المقامات التي يترقى فيها السالك سبعة وهم الخلوتية وبين من قال أنها
ثلاثة وهم غيرهم لأن غير الخلوتية لا يعدون المقام الأول الذي تسمى
النفس فيه بالأمارة مقاماً فيعدون الثاني وهو الذي تسمى فيه النفس
باللوامة والثالث وهو الذي تسمى فيه النفس بالملمة والرابع وهو الذي
تسمى فيه النفس بالمطمئنة ولا يعدون الخامس والسادس والسابع لأنهم
لم يعتبروا إلا النفوس الزكية باعتبار الفطرة ولاشك أن هذه النفوس
إذا وصلت للمقام الذي تسمى فيه النفس بالمطمئنة كملت وصارحت
للارشاد وأما الخلوتية فعدوا المقامات سبعة وجعلوا أولها مقام النفس
الأمارة وآخرها النفس السكاملة وهذا الكتاب مرتب على مذهبهم لأنه
ليس جميع نفوس السالكين زكية باعتبار الفطرة فهو جامع للطريقين والمذهبين
واعلم أن غير الخلوتية لا يلقنون السالك إلا ثلاثة أسماء فيلقنوه وهو
في النفس اللوامة لإله إلا الله وفي أوائل الملمة الله وفي آخرها هو هو
وبهذا الاسم يدخل على النفس المطمئنة ولا يلقنوه ذيره وأما النقشبندية

فذكرهم باللطائف القلبية فأول تلقينهم للسريد السالك في لطيفة القلب ثم ينقلونه إلى لطيفة الروح ثم لطيفة السر والخي والآخرى ثم لطيفة النفس والعناصر الأربع وذكرهم من غير حركة اللسان ودليلهم من كتاب الله قوله تعالى (واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغسو والأصال ولا تكن من الغافلين) وأما السادة الميرغنية فلهم مقدمات للطريقة وأساس صغير وكبير والأساس الكبير ينقسم إلى ثلاثة أقسام كبرى ووسطى وصغرى ولهم أورا د مخصوصة للخلو ميسرطة في كتبهم نفعا لله بأسرار الجميع وأعاد علينا من بركاتهم أجمعين وأعلم أنك إذا تمت المقام الرابع واطمأنت نفسك طائنة رحمانية ومازل قدمك عن اتباع الكتاب والسنة ولا قدر شعيرة بل مارج الشرع والاتباع لحكم ودمك وجذبتك يد اللطاف جذبة السكال وهي غير الجذبة الأولى التي هي في أول السلوك ونودي على نفسك بلسان سر السر يا أيها النفس المطمئنة إرجعي إلى ربك راضية مرضية فيعتريك النسيان فلا تدرك شيئا من أمور الدنيا والآخرة إلا إذا كان حاضرا عندك ومتى غاب عنك غبت عنه وذلك لأن قلبك حينئذ لا يفتر عن مشاهدة جمال الحق وجلاله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الباب الثامن

في بيان النفس الراضية وبيان سيرها وعالمها ومحالها وحالها
وواردها وصفاتها وكيفية الترقى منها إلى المقام السادس

فسيرها في الله وعالمها اللاهوت ومحالها سر السر وحالها الفناء لكن

لا بمعنى الفناء الذي مر بيانه والفرق بينهما أن ذلك حال المتوسط في الطريق وقد عرفت أنه ذهول الحواس عن محسوساتها وهذا حال المشرفين على البقاء الذين هم في أواخر السلوك والمراد به محو الصفات البشرية والتهيؤ للبقاء من غير أن يعقبه البقاء في الحال لأن ذلك الفناء هو حق اليقين وهو بعد هذا الفناء يحصل في المقام السابع المذكور في الباب العاشر وهذه النفس أعنى الراضية ليس لها وارد لأن الوارد لا يكون إلا مع بقائه الأوصاف وقد زالت في هذا المقام حتى لم يبق لها أثر ولذلك كان السالك في هذا المقام فانيا لا باقيا بنفسه كما كان قبل هذا المقام ولا باقيا بالله كما سيكون في المقام السابع وهذه حالة لا ندرك إلا ذوقا وقد يمكن الكمال أن يفهمها للمريد المنتهي للسكال وصفات هذه النفس الزهد في سوى الله تعالى والأخلاص والورع والنسيان والرضا بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاج قاب ولا توجه لرفع المكروه ولا اعتراض أصلا على أمر من الأمور وذلك لأنه مستغرق في شهود الجمال المطلق ولا تحجبه هذه الحالة عن الإرشاد والنصيحة للخلق وأمرهم ونهيهم ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع به. كل ذلك وقلبه بعالم اللاهوت وسر السر وصاحب هذا المقام غريق في بحر الأدب مع الله تعالى ودعوته لا ترد إلا أنه لا ينطلق لسانه بالسؤال حياء وأدبا إلا إذا اضطر فانه يطلب ويدعو فلا ترد دعوته وهو عزيز عند الخلق محترم عند الأكابر والأصاغر لانه قد نودي عليه من حضرة القرب أنك اليوم لدينا مكين آمين فصار تعظيم الخلق له قهري لا يعلمون لماذا يعظمونه ويحترمونهم فينبغي عليه أن لا يركن إليهم خصوصا الظالمين منهم لئلا تمسه نار طبايعهم على الخصوص إذا أحسنوا إليه وكان فقيرا وقد جبلت

القلوب على حب من أحسن إليها قال الله تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) فاشتغل بربك ولا تمل إليهم وكلما أعرضت عنهم واشتغلت بربك زاد شوقهم إليك فأن قسم الله لك في ما لهم نصيبا فهو يصلك قهرا عنهم فلا تركن إليهم رجاء فيما في أيديهم ولا تعرض عنهم لأجل أقبالهم عليك لأنك وأنت في هذا المقام وإن كان لا يخاف عليك من دسائس النفس إلا أن الخوف أسلم فاحذر وخف ولا تغتر بأقبال الخلق عليك ومحبتهم لك والحق أن صاحب هذا المقام ليس له ركون إلى ما سوى الله تعالى فتى رأيت في نفسك ركونا فاعلم أنك لست من أصحاب هذا المقام لأن صاحب هذا المقام قد أشرف على سلطنة الباطن التي جميع الظواهر تحت قهرها فكيف يكون له ركون واعتماد على بعض رعيته فافهم واشتغل في هذا المقام بالاسم الخامس وهو (حى) وأكثر منه ليزول فنائك ويحصل البقاء بالحى فتدخل في المقام السادس وتترقى من الوقوف على الباب إلى منازل الاحباب وكلما اشتغلت بهذا الاسم زال فنائك وبقيت بالحى واتصفت بالصفات الكبالية وهى معنى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به المعبر عنه بقرب النوافل وكل هذا يأتى مفصلا فى المقام السادس فاعلم ان من الاسماء أسماء يقال لها فروع عند بعض العارفين وهى الوهاب والفتاح والواحد الأحد والصمد فاشتغل وأنت فى هذا المقام بالاسم (الفتاح) أو بالاسم (الوهاب) مع الاسم الخامس الذى ذكرناه لك وهو الحى ليسهل عليك الانتقال إلى المقام السادس الذى أنت إليه فى غاية الاحتياج وتستمع ما فيه من العجائب وتحلى به والله الموصل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا

الباب التاسع

في بيان النفس المرضية وبيان سيرها وعالمها ومحملها وحالها
وواردها وصفاتها وكيفية الدخول منها إلى المقام السابع

فسيرها عن الله وعالمها عالم الشهادة ومحملها الخفاء وحالها الخيرة المقبولة
وواردها الشريعة وصفاتها حسن الخلق وترك ما سوى الله تعالى واللفظ
بالخلق وحملهم على الصلاح والصفح عن ذنوبهم وحبهم والميل اليهم لأخراجهم
من ظلمات طبائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم لا كالميل الذي في النفس
الامارة لأنه مذموم ومن صفات هذه النفس الجمع بين حب الخلق والخالق
وهذا شيء عجيب لا يتيسر إلا لأصحاب هذا المقام السادس ولذلك كان
السالك في هذا المقام يتميز عن عوام الخلق بحسب ظاهره وأما بحسب
باطنه فهو معدن الأسرار وقوة الاختيار ليس له في شهود شيء من الاختيار
من حيث هي أغيار وهو دائرة العلم الإلهي الحالى لا علم الرسوم المقالى
وسميت هذه النفس بالمرضية لأن الحق تعالى قد رضى عنها وسيرها عن
الله بمعنى أنها أخذت ما تحتاج إليه من العلوم من حضرة الحى القيوم ورجعت
من عالم الغيب إلى عالم الشهادة باذن الله تعالى لتفيد الخلق بما أنعم الله
عليها وحالها الخيرة المقبولة وهى المشار إليها بقوله .

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تعميرا
واذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمع ولا تجعل جوانى لن ترا
وهذه الخيرة متمبولة لا كالخيرة المذمومة التى تكون فى أول السلوك
من صفات السالك وهى فى هذا المقام شأنه الوفاء بما وعد فلا يخلف وعده

أصلاً ووضع كل شيء في موضعه فينفق الكثير إذا صادف محله حتى
يظن الجاهل أنه أسرف ويبخل بالقليل إذا لم يصادف محله حتى أنه إذا
رآه الجاهل بحاله قال هذا أبخل من كل بخيل ولا يزداد مادحه إذا لم يكن
محلاً للاعطاء بمدحه الاتعاب وإذا كان من ذمه محلاً للاعطاء فلا يمنعه حقه
لأجل ذمه وهذه أحوال السكاملين أرباب القلوب ومن أوصافه أنه في
جميع شئونه في الحالة الوسطى وهى بين الإفراط والتفريط وهذه حالة
لا يقدر عليها إلا من كان في هذا المقام وهى خفيفة على اللسان ثقيلة عند
الامتحان وكل أحد يحب هذه الخصلة ويحب من يتصف بها إلا أنها صعبة
فلا يقدر عليها كل أحد وأعلم أنه في أول هذا المقام تلوح لك بشائر الخلافة
الكبرى وفى آخره تخلع عليك خلعة كسنت سمعه الذى يسمع
به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فى يسمع
ونى يبصر ونى يبطش ونى يمشى وهذا نتيجة قرب النوافل وهو أن يكون
التأثير باستعانة الله تعالى للعبد فافهم هذا فإنه دقيق وإياك أن يسوء فهمك
فتصدق أنك الحق كما يعتقد الملاحدة الذين طالعوا كتب الاكابر من
الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين ولم يفهموا منها ما قصدوه وخصوصاً
كتب الشيخ محى الدين قدس الله سره فإنه لم يفارق الشريعة أصلاً
ولكن سوء فهم القارىء شوش على الناس وتحقيق هذا المقام أن السالك
إذا وصل إلى مقام الفناء وهو المقام المذكور قبل هذا المقام تنمحق صفاته
الذميمة البشرية التى هى محل الانفعال والشقاوة وذلك بسبب تقربه إلى الله
تعالى بالنوافل التى هى محل الانفعال وذلك بسبب تقربه بالرياضات
ومجاهدة النفس الجهاد الاكبر وقد جرت عادة الله تعالى أنه يهبه كرماً

منه صفات مناقضة لتلك الصفات مؤثرة باذن الله تعالى وهذا هو حق
اليقين المذكور في المقدمة فطالعه تفهم ان شاء الله تعالى فايالك أن تسلك
طريق الضلال وتعتقد الحلول فتعالى ربنا أن يحل في شيء أو يحل في شيء
شيء والحق أن هذه الأمور لا تدركها العقول ومتى حاول العقل أدراكها
وقع في الزندقة لأنها أمور ذوقية لا تدرك الا بتأييد إلهي لأن الفناء ليس
له في الخارج نظير حتى يقاس عليه ويمثل به وكذلك البقاء بالله تعالى
وكذلك قرب النوافل وقرب القرائض فلا يدرك هذه الأشياء إلا من
تأهل لذلك واتصف بالصفات الكمالية وانما ذكرته في الكتاب لأن
الخطاب في هذا الباب لمن كان في هذا المقام ومن كان في المقام يفهم كل
ما ذكر بل يذوقه أن شاء الله تعالى وأعلم أن آخر مقامات السالك وصوله
إلى الصورة الأدمية التي كانت قبلة للملائكة التي حقيقتها المحمدية وهي سر
الله الأعظم واللطفية الإلهية وهذا غاية القرب من حضرة الرب فاذا وصل
السالك إليها تحقق بالعبودية المحضة والعجز والذل فعرف نفسه بهذا
الوصف وعرف ربه بأوصاف الربوبية لأنه إذا عرف نفسه بالذل والفناء
عرف ربه بالعز والبقاء وذلك بسبب مقابلة مرآة العبودية لمرآة الربوبية
وانتقاش كل في كل وهو معنى قوله ماوسعني أرضي ولاسماني ووسعني
قالب عبدي المؤمن ومتى عرف ربه بالعلم الإلهي علم السر المودوع في
حقائق الأشياء المشار إليه بقوله وعلم آدم الاسماء كلها وبقي هنا اسرار
تضييق عنها العبارة فسبحان من تعالى عن الشبيه والمثيل وجل عن النظر
ومتى كوشفت بهذه الصورة وعلمت انها هي أعظم مطالب السالكين وأعلى
منازل السائرين وأعز ما في الوجود عند السالكين جددت في طاعتها بالاستقامة

على الطريقة والتمسك باذيال الشريعة وتلاوة الاسم السادس وهو القيام
فتصير حسنات الابرار سيأتك فلا تزال مؤدبا بأداب الشريعة والطريقة
والحقيقة لا يشغلك بعضها عن البعض الآخر إلى أن تنتقل إلى المقام السابع
طالباً للتحقق بالصورة الأدمية والحقيقية المحمدية لمثل هذا فليعمل العاملون
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون .

الباب العاشر

في بيان النفس الكاملة وبيان سيرها وعالمها
ومحلها وحالها وواردها وصفاتها

فمسيرها بالله وعالمها كثرة في وحدة ووحدة في كثرة ومحلها الاخفى
أى السر الاخفى الذى نسبته إلى الخفى كنسبة الروح إلى الجسد وحالها
البقاء وواردها جميع ما ذكر من واردات النفوس وصفاتها جميع ما ذكر
من الأوصاف الحسنة للنفوس المتقدم ذكرها والاسم الذى يشتغل به
هذا الكامل اسمه القهار وهو الاسم السابع عند الخاوتية وهذا المقام هو
أعظم المقامات لأنه قد كملت فيه سلطنة الباطن وتمت به المسكيدة
والمجاهدة ليس لصاحب هذا المقام مطاب سوى رضوان الله تعالى
فحركاته حسنات وأنفاسه قدرة وحكمة وعبادة أن رآه الناس ذكره والله
تعالى عند رؤيته وكيف لا يكون ذلك وهو ولي الله بل كان وليا وهو فى
المقام الرابع إلا أن المقام الرابع مقام الأولياء العوام والمقام الخامس
مقام الأولياء الخواص والمقام السادس مقام الأولياء الذين هم خواص
الخواص فسبحان من لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأعلم أن الاسم

القهار من أسماء القطب صاحب الوقت أعاد الله علينا من بركاته و قدس
سره العزيز ولذا قال العارفون رحمهم الله تعالى أنه يمد المريدين الطالبين
بالانوار والهدايات والبشارات صاحب الوقت بهذا الاسم وقالوا أنه
مهما حصل في قلوب المريدين من الفرح والسرور والجذبات السكائنة
بغير سبب فهو من مدد القطب عوضا عن اذكارهم وتوجهاتهم لربهم
وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة وذلك أما بجميع البدن أو باللسان
أو بالقاب أو باليد أو بالرجل وهو كثير الاستغفار كثير التواضع
سروره رضاه في توجه الخلق إلى الحق وحنونه وغبضه في أذبارهم عن
الحق يحب طالب الحق أكثر من محبة ولده الذي من صلبه وهو كثير
الاجماع قليل القوى قليل الحركة ليس في قلبه كراهية لمخلوق من المخلوقات
مع أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر الكراهة لمستحق الكراهة
ويظهر المحبة لمن هو أهل المحبة لا تاخذه في الله لومة لائم يرضى في عين
الغضب ويغضب في عين الرضا لكنه يضع كل شيء في محله متى ما وجه
همته إلى كون من الأكبران إلا أوجده الله تعالى على وفق مراده قد انطوى في
مراد الله تعالى فإذا أراد شيئا وطلبه من الله تعالى لا يخيبه وعلى الله قصد السبيل
الخاتمة في بيان صفات المرشد وبيان أحوالها يعرف من يصلح للارشاد
ومن لا يصلح ولو تصفحت مامر من المقامات لعرفت من يصلح للارشاد
من غيره ولكن بالخاتمة تزداد علما بأحواله والعلم بأحواله
أمر مهم لأنه قد يتصدى للارشاد من ليس أهله

فيكون ضالا مضلا لأنه لم يتكمل

أعلم أن من كان بصدد الارشاد لابد أن يكون عالما بما يحتاج إليه

المريدون من الفقه وعقائد أهل السنة والجماعة وان لم يكن متبحرا في العلوم بل يكون له اطلاع بقدر ما يزيل به الشبه التي تعرض على المريد في البداية وان يكون عالما بكلمات القلوب وآفات النفوس وأمراضها وأدوائها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها وان يكون رؤفا رحيفا بالناس وعلى الخصوص بالمريدين وأن يكون ناصحا لهم فينظر في حالة المريد بعدما يصحبه مدة فان رآه قابلا للسلوك سلكه وحسن له الطريقة وأعانه على ترك الاسباب بكل ما أمكنه من الأعانة بالمال وغيره وإن رآه غير قابل نصحه وقال له ارجع إلى حرفتك أن كان له حرفة أو إلى تعاطي شيء من الاسباب إن لم يكن له حرفة فان الله تعالى لا يحب العبد البطال فليقل له ذلك والمريد القابل للسلوك من عاды نفسه فاتعيبها بالجوع والعطش والسهر والاعتزال عن الخلق وقلة الكلام وكل ما آذاه أحد من أخوانه أقام الحجة على نفسه لاعلى من آذاه ويقول أن نفسي لو لم تكن خبيثة لما ساط الله الاخوان عليها بالايذاء وإذا تشاكروا للشيخ يقول والله انى أنا الظالم على أخى فمتى كان السالك على هذه الصفات ظاهرا وباطنا فهو قابل للسلوك وأن وجد فيه أوصاف ذميمة ومتى كان المريد مصادقا نفسه راضيا عنها ينتصر لها اذا آذاها أحد من أخوانه فلا يفلح ولا يشم لهذا الطريق رائحة فمثل هذا المريد يجب على الشيخ أن يقول له اذهب إلى صنعتك لأن أساس هذا الطريق عدم الرضا عن النفس ومعاداتها فإذا بنى السالك على غير هذا الأساس انهدم كل ما بناه ولا يلزم من هذا الكلام أن المريد القابل للسلوك لا يصدر منه شيء من القبائح بل يقع منه بعضها لأنه ليس كاملا بل هو طالب للسالك وطالبه قد تقع منه القبائح فترادنا

من هذا الكلام أنه إذا صدر منه مكروه لا يرضى به ويلوم نفسه ويقيم
الحجة عليها ولا ينتصر لها بوجه من الوجوه لا ظاهرا ولا باطنا وكذلك
يأمر الشيخ المريد بالاحتراف والصنعة إذا رآه لا يقدر على الرياضة
والمجاهدة فإذا لم يأمره بذلك فقد غشه والشيخ لا يكون غشاشا لقول النبي
ﷺ من غشنا فليس منا أو كما قال إلا إذا احتاج الشيخ لخدام يخدم الفقراء
فلا بأس أن يقيمة الشيخ خادما وأن يكون لا يقدر على الرياضة لكن
يجب على الشيخ أن يعلمه أنه ليس هو من سالكى طريق المقربين وأن
طريق المقربين لا يكون إلا بالرياضات والمجاهدات ومن علامة المريد
القابل أن يكون ساخطا على نفسه أن سب فلا يسب إلا لها وأن تألم فلا
يتألم إلا عليها وأن غضب فلا يغضب إلا عليها فمن لم يكن كذلك فليس
هو من سالكى طريق المقربين ومن علامة المريد القابل أن يكون حزين
القلب منكس الرأس كمن أصابته مصيبة لا تتدبر وإذا انشرح وانبسط
كان انشراحه وانبساطه كصاحب هذه المصيبة والحق أن مصيبة السالك
العارف أعظم المصائب لأنه ببركة السلوك وتلاوة الاسماء عرف ما انطوت
عليه نفسه من الخبائث والردائل والقبائح وعرف أنه مع بقاء هذه
الخبائث لا يصل إلى مطلوبه ولا يتملى بمحبوبه وسعى على الخلاص فما
أمكنه الخلاص من جميع الخصال لأنها كثيرة والنفس منجبة عليها وكل
ما خلاص من خصلة ذميمة وقع فيها بعينها أو وقع فيها هو أخبت منها
ولاشك أن من كان هذا حاله يجب أن يكون منكس القلب باك العين
شاكيا من نفسه طالبا من مولاه الاعانة على الخلاص من كل ما يقطعه
عن ربه وإذا عرض عليه البسط والرجاء فيجب عليه التحفظ من قلة الادب

ورفع الرأس والضحك والزهو وان يصرف هذه الحالة في الخلوة بينه وبين ربه ويطلب منه زوال هذه الحالة والحفظ معها لأن حالة القبض والخوف حالة السلامة لا خوف على المرید معها لكنها صعبة لا تلائم النفوس الجاهلة وأما المرید العارف فإنه يخاف في حالة البسط هلاك باطنه وعمارة ظاهره وفي القبض هلاك صفات النفس الخبيثة وعمارة باطنه وإذا قال المرید أنا في حالة البسط لى مع الله حضور ومناجاة ومراقبة ومشاهدة وفى حالة القبض ليس لى شيء من ذلك فاعلم أن هذا المرید ليس أهلاً لما ادعاه ولا علم الله ولا عرف الحضور معه لأن الحضور مع الله تعالى هو الغيبة عن جميع ماسواه ولا يغيب الإنسان عن جميع ماسواه إلا في حالة القبض أو الهيبة أو الجلال (حكى) عتبة السلام وكان من الرجال الصالحين قدس الله أسرارهم أنه زها يوماً من الأيام فقال له شيخ الزمان وهو الجنيد البغدادي زهو يا عتبة فقال كيف لا زهو يا أستاذ وقد أصبح لى ربا وأصبحت له عبداً فقال لى الشيخ يا بنى إن الفرح مذموم ولو كان بالله وإن الله يحب القلب الحزين وقال عليه الصلاة والسلام أن الله يحب كل قلب حزين ومن علامة المرید القابل أن يكون معادياً لنفسه طالباً من الله تزكيتها فى سره وعلايته وأن يعلم أنها عدوة له وإن مرضها خطر فيسمى على خلاصه وإذا صدر منه شيء مخالف للطريق حكاها للشيخ . فمن علامة المرشد الكامل أن يكون ستاراً لكل ما أظهره المرید . وإن يكون غنى النفس حسن الخلق لا يغضب إلا الله ، وإن يكون قد استوى عنده جميع المآكل وحسنها وخشنها وكذلك استوت عنده جميع الملابس فلا يكون عنده فرق بين الصوف وغيره من الملابس الحسنة . وإن يكون أكبر همه تسليك السالكين لا جمعهم عليه لتصرف وجوه الخاف نحوه بسبب اجتماعهم حوله فإن مثل هذا الشيخ تفرش سجادته على متن جهنم

وان يكون في جميع أحواله في الحالة الوسطى في الجوع والشبع والنوم
والسهر أعنى بين والتفريط والافراط . كما قال صلى الله عليه وسلم أما والله أنى لأخشاكم
لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء . فأشار
عليه الصلاة والسلام الى أن الحالة الوسطى شىء حسن وانها حالة الاتقياء
الكامل ولا شك ان الحالة الوسطى لا يقدر على الاتصاف بها الا الكمل
من الرجال ولذلك كان من اتصف بها صالحا للارشاد . وإذا لم يكن متصفا
بها فلا يقدر عليه لأنه ينبغي أن يكون جلاله ممزوجا بجماله . وغضبه ممزوجا
بحبه . وقهره ممزوجا بلطفه يسخط من عين الرضا ويرضى من عين السخط
وذلك لقيامه بالله تعالى . وان يرضى فرضاه بالله تعالى فيجب على
المريد أن ينظر أولا في حال نفسه هل فيه أوصاف المريد القابل وينظر
ثانيا في أحوال الشيخ هل هو متصف بما ذكر من الأوصاف فان رأى نفسه
وشيوخه كذلك فيجب عليه السلوك والخلاص من سجين الطبيعة والترقى
إلى أكمل الصفات ولا يبالى ان طالّت المدة فانه لا بد له من الوصول حتى
أنه إذا وجد في نفسه أوصاف المريد القابل وما وجد الشيخ فيسلك هو
وحده نفسه بنفسه أيضا . ولكن يجب عليه إذا فقد الشيخ أن يتمسك
بالشريعة ومطالعة أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم وأخلاقه وأوصافه وتواضعه
لأن الشيطان لا يغفل عن المريد ولا ساعة ويدخل عليه من أبواب كثيرة
فيأتيه وهو في النفس الامارة فيقول له ما الله وهذا الطريق قدمات أهله
وما بقى منه إلا العبارات وأنت في زمان القابض فيه على دينه كالقابض
على الحجر وإذا أردت السلوك فعلى يد من تسلك أين أصحاب الكرامات
وأين أصحاب الأحوال كلهم مانوا فكان مستمداً منهم وقف مع ظاهر

الشرع فان أصغى المرء لهذا الكلام وبردت همته وانحل عزمه واعرض
عن السلوك جاءه الالعين بعد ذلك وقال له ان الله يحب أن يؤخذ برخصه
كما يحب أن تؤتى عزائمه كما يكره أن تؤتى معاصيته . وأن الله تعالى يحب
أن تقبل رخصته كما يحب العبد مغفرة ربه . فلا تشدد على نفسك لأن
الله يقول (ليس عليكم في الدين من حرج) فاذا صغى المرء لهذا الكلام
تتبع الرخص وتناول الشبهات التي هي بين الحلال والحرام . ومن تناول
الشبهات وفعلها فقد حام حول الحرام وقرب منه . ومن شأن الشبهات
أنها تظلم القلوب ومضى اظلم القلب وقع في الحرام وإذا وقع في الحرام
هلك مع الهالكين

لأن كل من أكل الحرام وداوم عليه وملاً بطنه منه صار لا يخطر بباله
إلا فعل الحرام فاذا تكلم يتكلم بالغيبة والنميمة وكسر الخواطر وغير
ذلك مما يكون سبباً لارتكاب الحرام وهذا هو غاية مطالب الشيطان لأنه
أكيس من أن يدخل أمة محمد ﷺ في الكفر . وما أيسر من أن
يخرج المؤمن من الإيمان ويجعله ناقص الإيمان فانه مع المعاصي وأكل
الحرام لا يكون الانسان كافراً بل مؤمناً لكنه ناقص الإيمان والدليل
على انه أيسر من كفر أمة محمد ﷺ ان الشيطان أيسر أن يعبد في
بلادكم هذه أبداً ولكن سيكون لكم طاعته فيما تحتقرون من الاعمال
فيرضى به . وقوله ﷺ ان الشيطان قد أيسر أن يعبد المصلون في جزيرة
العرب ولكن في التحريش بينهم فدل ما قاله ﷺ على ان الإيمان إذا
تمسك في القلب فلا يزول أصلاً بل ينتص وأما الذين ارتدوا بعد الاسلام
فأوائك لم يتمكن الإيمان من قلوبهم وأما قوله ﷺ أن الرجل ليصل

يعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب
فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار فهو حديث صحيح . وهذا الرجل
عمل بعمل أهل الجنة ولكن قلبه لم يطمئن بالآيمان فلا شك أنه عند
الموت لا تنفعه تلك الأعمال ويظهر ما في باطنه من كفر لأن الآيمان
إذا لم يكن عين اليقين فلا فائدة له لأن الظن لا يغني من الحق شيئا فلذلك
يجب على كل مسلم أن يحصل من العقائد ما ينزيل منه الشبهة والظن ولا
ينبغي للسالك أن يتوغل في علم العقائد لأنه لا فائدة فيه بل يأخذ منه بقدر
ما يحتاج إليه . وقد شرحت قصيدة قطب زمانه سيدي أبي العباس أحمد بن
عبدالله الجزائري رضى الله عنه شرحاً مختصراً مفيداً يحتاج من قرأه إلى
غيره . من العقائد لأنه قد أشتمل بحمد الله على جميع عقائد أهل السنة
والجماعة فمن أراد تحصيل اليقين بسهولة فليقرأه فإنه نافع أن شاء الله
وعباراته خالية من التعقيد بفهم من له ادنى فهم ولنرجع إلى ما كنا بصدد
من أن الشيطان يدخل على السالكين من أبواب كثيرة فيأتيهم وهم في
النفس الامارة ويسمى على قطعهم بما سمعته في الأقوال المزيفة التي يقبلها
العقل فان حنتهم الاطراف وعلموا أن هذا شأن العاجزين الحقى البطلان
وسلكوا حتى وصلوا إلى المقام الثانى وصارت نفوسهم لوامة أتاها
الشيطان من طريق كثيرة بقطعهم عن طريق الحق . منها أنه يحسن لهم ما يصنعونه
من الاعمال ولا يزينها لهم فيدخل عليهم العجب فاذا أدخل عليهم العجب
بنفوسهم واعمالهم وغرهم أو قال لهم المقصود من الطريق العمل وانتم
قد حصلتم عليه فلا حاجة لكم إلى العلم ولا إلى نصيحة العلماء ، لأن
العالم الذى ينصحكم ليته ينصح نفسه فهل يعمل العالم الذى ينصحكم

عشر معشار ماتعملون فان تمكن منهم هذا العجب والعباد بالله تعالى استغظموها أنفسهم واستحقروا الناس وساءت أخلاقهم وساء ظنهم بالغير وصاروا لا يقبلون من عالم نصيحة بل يتعبدون على مقتضى عقولهم فيها يكون في بحار الجهل والعباد بالله . ومنها أن يأتيهم ويقول لهم كيف تدعون الصلاح وتدعون حب الله ولا تحجون البيت ولا ترون النبي ﷺ وهذا ليس شأن المحبين .

فتوكلوا على الله وحجوا ومهما كان لكم من الاوراد ومن الصلاة والصوم والاذكار فافعلوه في الطريق فتجازوا على ثواب الحج وغيره فان صفرا لهذه الوسوسة وتوجهوا إلى بيت الله الحرام مع فقرهم وفاقتهم وقلة زادهم وراحلتهم أنهبوا ابدانهم فلم يتدبروا على العبادة التي كانوا يفعلونها فاذا زاد عليهم التعب وملوا من الطريق جاءهم اللعين وقال لهم ان الله تعالى يقبل القضا فلا تضيقوا على أنفسكم وتحملوها مالا تطيق واذا فاتكم شيء من الصلاة فاقضوها في مكة ثم فيها الله تعالى فيمثلون قوله من عجزتم ويتهاملون في اداء الصلاة وإذا جاعوا ساءت أخلاقهم وقال لهم أنتم فقرا وما فرض عليكم الحج وما فرض الحج إلا على الاغنياء فلا شك أن الخواطر التي خبطت لكم وبعثتكم على الحج كانت من الشيطان فيوقعهم في الندم والسخط وعدم الرضا فتظلم قلوبهم ويقعون في غيبة الخلق وأعراضهم لأنهم لا يتصدقون عليهم ولا يانفتون اليهم وقد لا يباغون الحج فينقطعون وإذا بلغوه قد تفوتهم غالب مناسك الحج بسبب اشتغالهم بطلب القوة وإذا كان الرجل منهم في بلده كريما سخيا مؤثرا على نفسه منشرح الصدر حسن الاخلاق يصير بسبب ملاقاه من الاشرار بخلا ضيق الصدر مراء

الاخلاق ودسائس الشيطان كثيرة وهى أنواع منوعه لمن قدر عليه بافساد عمله أفسده عايه ومن لا يقدر عليه فى إفساد عملة دخل عليه بعمل أفضل من عمله وحسنه له مع أنه لا يقدر عليه لكنه يهونه عليه ويغريه به حتى يباشر العمل الثانى وينقطع بسببه عن العمل الاول ولا يقدر على إتمام العمل الثانى ويحرم العاملين وهذا مراد الشيطان من ابن آدم ومنها أنه يقول لأصحاب النفس اللوامة انتم معتقدون الناس يعتقدونكم فلا بأس أن تحسنوا أعمالكم ليعتقدوا فيكم فتحصلوا الثواب فاذا حسن أعمالكم لهم بهذه النية صارت معلولة هذا إن عجز اللعين عن أن يحب رياء وسمعة ومنها أنه يقول للعابد اخف عبادتك فان الله يحب العمل الخفى فيحبك الله ويحبك الناس ايضا لأنهم لا يطلقون على اخلاصك فان تبعه واخفى عمله بنية محبة الناس له وقع الرياء ولم يدرك فان نجا أصحاب النفوس اللوامة من مكره واستعانوا بالله على دسائسه وترقوا إلى المقام الثالث وهو الذى تسمى النفس فيه بالمهمة دخل عليهم من أبواب تناسبها لانهم قد باغوا بمض درجات العرفان وجارزوا ما ذكر من العقبات ولم ينغروا بمازين لهم ففهم مال لهم قد ثقفتهم وعلمتم أن لا موجود إلا الله تعالى وأنه هو المبدى وهو المعيد ومنه بدأ الامر واليه يعود ولا يتحرك إلا بقدرته وقد جف القلم وأهل النار إلى النار وأهل الجنة إلى الجنة وهذا الأمر لا يعلمه إلا أمثالكم فلا تتعجبوا أنفسكم بالأعمال الشاقة فدعوا الأعمال للمحجوبين المقلدين ولا تشغلوا بها واشغلوا بالمشاهدة والمراقبة فان زلت أقدامهم وما اطلعوا أنها دسيسة شيطانية تركوا الأعمال الصالحة فاذا تركوها وأظلمت قلوبهم من حيث لا يعلمون جاءهم وهو متمكن منهم بسبب ظلمة قلوبهم وقال لهم

إفعلوا ما شئتم فان الله تعالى حقيقةكم فانتم هو وهو أنتم ولا يسأل عما يفعل وأنتم لا تسألون عما تفعلون فحيثما تنسبل عليهم الحجب الظلمانية الطبيعية ولا يرونها فيزنون ويشربون الخمر ويأكلون الحرام من أى وجه كان من سرقة أو قباذة أو غير ذلك ولا يخافون من الله اسوء اعتقادهم وعدم معرفتهم بالله ولا يزال الشيطان يلعب بهم حتى يتخفوه ولما من دون الله وهذا حال من مال إلى أرض الطبيعة وصار كلام الشيطان معينا له على هواه وأما المريدون وجه الله المحبون له تتبعوا أفعاله بنية وأقواله وسايروا الشريعة حتى ماتوا الموت الطبيعي فهو كلما خطر ببالهم خاطر قاسوه على أفعاله وأقواله صلى الله عليه وسلم فان وافق عملوا به وإلا ردوه وقالوا أنه شيطاني وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل بالوفاة ولم يترك شيئا من الفرائض والنوافل ولم يسمع هذا عن السلف الصالح فتحققوا أن كل خاطر لا يوافق الشريعة فهو زندقة وكفر وضلال فاستقاموا على الطريقة فترقوا من هذه المقامات الكثيرة الخطرة إلى المقامات العالية فانكشف لهم سر الشريعة لم أره بغير الأسا حل له وهو مخزون في ظاهر الشريعة فمن لم يكن متابعا لظاهر الشريعة لا ينكشف له عن سرها ويتسع في الزندقة والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فهذه تكملي المبصر في الشريعة في التزام الوقوف على باب الشريعة حتى يصل إلى أسرارها ومن أسرارها الله تعالى وخصوصياته التي تقع بينه وبين عباده الذين ليس للشيطان عليهم سيلا وهذه الأسرار يعرفها أهلها بسبب تنوير بواطنهم واتباعهم الشريعة ولا ياتبس عليهم وإذا أراد الشيطان أن يلبسها عليهم فلا يقدر لأنه ليس له عليهم سلطان وقد

جاء للشيخ عبدالقادر قدس الله سره العزيز وهو في البادية وقال يا عبدالقادر
أنا الله وقد أبحث لك المحرمات فاصنع ما شئت فقال له كذبت أنك
شيطان قال الله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء فانظر ما أعظم الشريعة وما
أنعم من تمسك بها وأعلم أن جميع ما تنوع به الشيطان يقدر أن يضل به
الضعفاء من الناس وأما العارفون الاقوياء فانه لا يضاهم إلا بما يناسبهم
من أنواع الاضلال وما ذكرناه من أنواع الاضلال قليل بالنسبة إلى
ما يظهر به لعنه الله من الانواع ولا تقدر أيها الاخ على ردها إلا بالتمسك
بالشريعة المطهرة وما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ والعلماء العاملين
من أمته .

تم الكتاب بعون الله تعالى والله اسأل ان ينفع به وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

طبع بدار الطبع والنشر للجامعة الصوفية الاسلامية العالمية

٣١٣ — (١) — شارع الخليج المصرى بالسيدة زينب

فهرست

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	
ضرورة التصوف في حياة الأمة	٦
حكم الله في ترك علم التصوف والعمل به	٩
ترجمة المصنف رضى الله عنه نقلا عن سلك الدرر	١١
مقدمة الكتاب	١٥
تعريف ما يحتاج إلى ذكره في هذا الكتاب من اصطلاحات	٢٥
أهل التحقيق مرتبا على حروف المعجم	
الباب الأول في ذم الدنيا ولذاتها وبيان حقيقتها	٢٦
الباب الثاني في الحث على سلوك الطريقة وبيان فضلها	٤٥
الباب الثالث في بيان الحجب التي بين العبد وربّه وما يحتاج إليه السالك في رفعها	٥٥
الباب الرابع في بيان النفس الامارة وسيرها	٦٥
الباب الخامس في بيان النفس اللوامة وسيرها	٧٣
الباب السادس في بيان النفس الملهمة وسيرها	٩٣
الباب السابع في بيان النفس المطمئنة وسيرها	١١٥
الباب الثامن في بيان النفس الراضية وسيرها	١٢١
الباب التاسع في بيان النفس المرضية وسيرها	١٢٤
الباب العاشر في بيان النفس الكاملة وسيرها	١٢٧
الخاتمة في بيان صفات المرشد	١٢٨